

مكتبة
ثقافة وعلم إنسانية للكتاب

في ظلال السيرة



الموجز الوافي
لأزوع كتب
السيرة وعمدة
مراجعتها
لابن هشام

الجزء الأول
حرف ونحو

محمد لبيب البوهي





ثقافة وعلم إنسانية لكل الشعب

تصدر عن مؤسسة دار

الشعب

للصحافة والنشر والطباعة والتوزيع

مدير التحرير: **أنور زعلول**

مدير التحرير: **أنور زعلول**

● الطبعة الأولى ●

● إبريل ١٩٧٥ ●

سنتظل القاهرة دائما قلب العروبة والاسلام
الناض .. تنبؤا مكانتها التاريخية والحضارية ..
في عالم الفكر .. والثقافة .. والنشر ..

● الغلاف للفنان : محسن شعلان

● الاعداد الفنى : أنور عبد الدايم

● الناشر : مؤسسة دار الشعب للصحافة

والطباعة والنشر والتوزيع -

٩٢ شارع قصر العيني - القاهرة

تليفون ٣١٨١٠



في ظلال السيرة

لابن هشام

الجزء الأول

تلخيص عصرى لكتساب السيرة الخالد وعمدة مراجعها
المعروف بسيرة ابن هشام (محمد بن عبد الملك بن هشام)

فهم لبيب البوهي

١٩٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن تعلم تفسير القرآن وتعليمه للأهل والعشيرة من أوجب الواجبات
هلى كل مسلم ، كما أن هذا الواجب ينبغى أن يسير جنباً إلى جنب
مع واجب آخر هو الإلمام الكامل بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم
لأن سيرته العطرة هى التطبيق العملى للقرآن ، ففى علم المسلم تفسير
القرآن وزاد على ذلك دراسة السيرة كان ذلك حظه العظيم فى دنياه
وأخترته

على أنه لايسع لنا ولايحمل بنا أن نجعل الأمر فى دراسة السيرة
قاصراً على أن نلتقط من هنا ومن هناك صوراً عابرة من سيرة الرسول ،
بل لابد من دراسة مركزة للحياة المثالية التى عاشها وأساليبه المختلفة
فى مواجهة الظروف والأحداث ومعاملة الناس .

ولقد صدرت فى السيرة كتب متنوعة المقاصى والاتجاهات
وأكثرها رغم ضخامته جاء خالوا من الروحانية فلا يحس القارئ
المؤمن نشوة الروح التى تهب من نفحات هذه السيرة العطرة ، ومنها
ما يكاد يكون تحليلاً علمياً أو منطقياً محاكياً لأساليب كتاب الغرب
والمستشرقين فى كتابة تراجم العظماء .

ولكن الأمر جد مختلف بالقياس إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .

وهناك أمنية تجيش بصدر كل مؤمن راغب في الإلمام بسيرة نبيه العظيم أن يعكف على المجلدات الضخمة التي يحويها أعظم كتب السيرة على الإطلاق وعمدة مراجعها قديماً وحديثاً وهو الكتاب المعروف باسم سيرة ابن هشام (محمد بن عبد الملك بن هشام) والذي يعتبر المنبع الأول والمعين الصافي لجميع من كتبوا في السيرة أو حولها من قريب أو بعيد على الإطلاق وهو كتاب ضخم تشع كلماته إشعاعاً روحانياً لطيفاً يجعل مجلدات ذلك المحيط الكبير كنز الراغبين ، علم السيرة على مرور الزمان .

غير أن هذه الأمانة العظيمة لا يتسع لها وقت الكثيرين في هذه الأيام وقد لا يوفى في المجلد لثمنه إلى جواهرها من بين حواشيه الطويلة ورواياتها المتكررة والإضافات الكثيرة .

لذلك توجهت إلى الله تعالى بقلب مفعم بالرجاء ملتصقاً بالمعونة في إعادة عرض هذا الكنز العظيم عرضاً عصرياً سهلاً مبسطاً لا يذهب بالجواهر بل يقدمه خالصاً سائغاً على الذائق الذي سرنا عاينه بفضل الله وتوفيقه في تلخيص وعرض تفسير القرآن للإمام العظيم ابن كثير . فاذا تابع القارئ الكريم تفسير ابن كثير ثم قرن إلى ذلك دراسة السيرة لابن هشام كان ذلك بفضل الله دراسة « للكتاب والسنة » دراسة سهلة .

والله تعالى ولى التوفيق ونسأله سبحانه العون والسداد .

قصة زمزم

هذه نبذة لابد منها قبل الدخول في السيرة الشريفة لذكر بعض الأماكن وبعض أجداد آل النبي قبل الإسلام .

حفر زمزم :

روى ابن إسحاق عن عبد المطلب بن هاشم أنه قال :

إني لنأتم في الحجر إذ أتاني آت فقال : احفر طيبة (صفة لبئر زمزم) قال عبد المطلب قالت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه : فجاءني فقال : احفر برة : قال : فقلت وما برة ؟ قال ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه . فجاءني فقال : احفر المذنونة . قال : فقلت وما المذنونة ؟ قال : ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه . فجاءني فقال : احفر زمزم .

قال : قلت : وما زمزم ؟

قال لاتنزف أبدا ولا تدم (أى لا يفرغ ماؤها أبدا) تسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين الفرت والدم ، عند نفرة الغراب الأعصم عند قرية النمل .

فلما تبين عبد المطلب وصفها ، ودل على موضعها ، وعرف أن الأمر صدق ، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ، ولم يكن له يومئذ ولد غيره ، فحضر فيها ، فلما بدت لعبد المطلب حجارة البئر صاح مكبراً فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب : إنها بئر أبينا اسماعيل ، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها .

قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم ، وأعطيته من بينكم .
فقالوا له :

فأبصفتنا فإذا غير تاركك حتى نخاضعك فيها .
قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه .
قالوا : كاهنة بني سعد هذيم ؟
قال : نعم

قال : وكانت بأشراف الشام ، فركب عبد المطلب ومعه نفر ، والأرض إذ ذاك مغاور فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المغاور بين الحجاز والشام ، فني ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظلموا حتى أيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش ، فأبوا عليهم وقالوا إنا بمقازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصحابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع للقوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه ، قال ماذا ترون ؟

قالوا ما رأينا إلا تبع لرأيك ، ففرنا بما شئت .

قال : فإنني أرى أن يخفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم
الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه
حتى يكون آخركم رجلا واحداً ، فضيعة رجل واحد أيسر من
لهيعة ركب جميعاً :

قالوا : نعم ما أمرت به .

فقام كل واحد منهم فحفر حفرة ، ثم قعدوا ينتظرون الموت
عطشاً . ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا أنفسنا
بأيدينا هكذا للموت . لانضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لعجز ،
فعمى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ارتحلوا ، فارتحلوا ، حتى إذا فرغوا ،
ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون ، تقدم
عبد المطلب إلى راحلته فركبها ، فلما انبعثت به انفجرت من تحت
خفيها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب
وشرب أصحابه واستقوا حتى ملثوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من
قريش فقال : هلم إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واسقوا فجاءوا فشربوا
واستقوا ، ثم قالوا : قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب ، والله
لأنخاضمك في زمزم أبداً ، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الغلاة هو
الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً ، فارجع ورجعوا معه
ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبينها .

قال ابن إسحاق في صدد معرفة عبد المطلب لمكان زمزم أنه لما قيل له في الرزيا إنها عند قرية النمل قال وابن هي ؟ قيل له حيث ينقر الغراب غدا .

فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره ، فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين المعروف أحدهما باسم إصاف والوثن الآخر المعروف باسم نائلة ، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها . فجاء بالمعول وقام ليحضر حيث أمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا منه ذلك فقالوا : والله لا نتركك نحضر بين وثنيينا هالدين اللذين ننحر عندهما : فقال عبد المطلب لابنه الحارث : ذد عني حتى أحضر فوالله لأمضين لما أمرت به ، فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحضر وكفوا عنه فلم يحضر إلا يسيرا حتى بدا له الماء ، فكبر وعرف أنه قد صادق ، فلما تهادى به الحضر وجد فيها غنابن من ذهب : وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أسيافاً وأدراعاً .

فطلبت إليه قريش أن يشركها في هذا الكنز .

فاقترح أن يقرعوا عليها بالقداح .

قالوا وكيف تصنع ؟

قال أجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين ، فمن خرج له قدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له .

— ٩ —

فجعلوا قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب
وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوا تلك القداح إلى صاحبها المدرب
على الضرب بها .

وكان الضرب بالقداح يحدث عند صم هبل الذي كان في جوف
الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم .

وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل .

فضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزاليين للكعبة .

ونخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلفت
قدحا قريش .

فجعل عبد المطلب من ذهب الأسياف بعد أن صهرها باباً
للكعبة ؛ وضرب في الباب الغزاليين من ذهب .

* * *

فكان أول ذهب حللت به الكعبة فيما يزعمون .

* * *

ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج .

قصة الفيل

بنى أبرهة كنيسته بصنعاء وأراد أن يكون حجج العرب إليها وكان أبرهة قد سخر أهل اليمن في بناء كنيسته تلك وقيل إنه نقل إليها أحجار قصر بلقيس الموهبة بالذهب :

فلما أتم أبرهة ذلك كتب إلى النجاشي ملك الحبشة يقول : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلاً للملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف إليها حجج العرب :

ولما غضب العرب لذلك خرج رجل منهم حتى أتى هذا البناء الذي بناه أبرهة فأحدث فيه :

فعلم بذلك أبرهة فقال من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحجج العرب إليه بمكة لما علم أنك تريد أن تصرف إليها حجج العرب ففعل هذا ليعلمك أنها ليست بأهل للحجج ، فغضب عند ذلك أبرهة وحاف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه .

ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفضعوا منه ، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة ، بيت الله الحرام .

وتصدى أقوام من العرب في جهات شتى لأبرهة فهزمهم حتى إذا كان قرب مكة بعث حناطة الحميري إليها وقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ثم قل له : إن الملك يقول لك : إلى لم آت لحربكم « إنما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم » فإن هو لم يرد حربي فأنتى به . »

فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها ف قيل له عبد المطلب بن هاشم .

فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة .

فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ومالنا بذلك من طاقة . هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام — فان يمنعه منه فهو بيته وحرمة ، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه .

فقال له حناطة : فانطلق معي إليه فانه قد أمرني أن آتيه بك .

فانطلق عبد المطلب ومعه بعض بنيهِ حتى أتى العسكر .

قال ابن اسحاق :

وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الخبيشة يجلس معه على سرير ملكه فتزل أبرهة عن سريرهِ فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه . ثم قال لترجمانه قل له : ما حاجتك ؟ .

فقال له ذلك الترجمان .

فقال حاجتي أن يرد على الملك مثني بغير أصابعها لي .

فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبني حين رأيتك ، ثم قد زهدت منك حين كلمني ، أتكلمني في مثني بغير أصبتها لك ، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جنت خدمه لانكلمني فيه . ؟

قال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل ، وإن للبيت رباً سيمنعه .

قال أبرهة ما كان يمتنع مني .

قال عبد المطلب أنت وذاك .

* * *

وكان فيما يزعم بعض أهل العلم ، قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة سيد من سادات بني خويلد فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة . على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم . والله أعلم أكان ذلك أم لا .

فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له .

* * *

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرز في شغف الجبال والشعاب تحوفاً عليهم من معرفة الجيش .

ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لا هم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالمهم غدرأ محالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدالك

* * *

قال ابن إسحاق :

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه
من قريش إلى شغف الجبال فتحرروا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل
بمكة إذا دخلها .

* * *

فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة ، وهياً فيله وعبي جيشه وكان
اسم الفيل محمود ، وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن .
فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب اللخمي حتى
قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال :

ابرك محمود ، أو ارجع راشداً من حيث جئت فلأنك في بلد
الله الحرام .
ثم أرسل أذنه .
فترك الفيل .

وخرج نفيل بن حبيب يشند حتى أصعد في الجبل ، وضربوا
الفيل ليقوم فأبى فضربوا في رأسه بالطبرزين (آلة حديدية تشبه الفأس)

ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجم لهم في مراقه فبزغوه بها (ضربوه بالعصا في موضع حساس من جسده حتى أدموه) ليقوم فأبى .

* * *

فوجهوه راجعاً إلى اليمن .

فقام يهرول .

وجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك وجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك .

وجهوه إلى مكة فيرك ،

فأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان (نوعان من الطيور في حجم العصفور) مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعذس ، لاتصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هارين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا ، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن .

فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من قيمته .

أين المفر والإله الطالب .

والأشرم المغلوب ليس الغالب .

* * *

وروى ابن إسحاق أن نفيل قال في هذه المناسبة »

ألا حيث عنا يارديننا (امرأة من نساء العرب)

— ١٥ —

نعمناكم مع الإصباح عينا .

ردينة لو رأيت ولا تريبه .

لدى جنب المحصب مارأينا .

إذا لعذرنتي وحمدت أمرى .

ولم تأسى على ما فات بيننا .

حمدت الله إذ أبصرت طيراً .

ونخفت حجارة تلقى علينا .

وكل القوم يسأل عن نفيل .

كأن على للحبشان ديننا .

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلاك على كل

منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم تسقط أنامله ،

أنملة أنملة ، كلما سقطت أنملة أتبعها منه مادة قيح ودم ، حتى

قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر .

فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ، فيما يزعمون .

قال ابن اسحاق :

فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ، مارد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال الله تبارك وتعالى :

(الَّذِينَ تَرَوْنَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) .

وقال تعالى :

(لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) .

قال ابن هشام :

الأبابل : الجماعات وأما سجيل فقد ذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هما سنج وجل يعني بالسنج الحجر ، والجل الطين . يعني الحجارة من هذين العنصرين : الحجر والطين ،

والعصف ، ورق الزرع الذي لم يقصب ، وواحدته عصفة .

قال ابن هشام :

وإيلاف قريش إيلافهم الخروج إلى الشام في تجارتهم ، وكانت لهم نخرجتان : خرجة في الشتاء ، وخرجة في الصيف .

بعد حادثة الفيل

قال ابن اسحاق :

فلما رد الله الحبشة عن مكة ، وأصابهم ما أصابهم به من النعمة
أعظمت العرب قريشا ، وقالوا : هم أهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم
مئة عدوهم ، فقالوا في ذلك أشعارا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة
ومارد عن قريش من كيدهم ۞

قال بعض شعرائهم :

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا	كَانَتْ قَدِيمًا لِأَبْرَامَ حَرِيمَهَا
سَائِلَ أَمِيرِ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى	وَلَسَوْفَ يَأْتِي الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا
مَسْتُونَ أَلْفًا لَمْ يَوْوَبُوا أَرْضَهُمْ	وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمَهَا
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجَرَهُمْ قَبْلَهُمْ	وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يَقِيمَهَا

* * *

وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة في شأن الفيل ۞

إِنَّ آيَاتَ رَبِّنَا ثَاقِبَاتٌ	لَا يَمَارَى فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
نَخْلُقُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلٌّ	مُسْتَبِينَ حَسَابُهُ مَقْدُورُ
ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارُ رَبَّ رَحِيمٍ	بِمَهَاةٍ شَعَاعِهَا مَنْشُورُ
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمَغْمَسِ حَتَّى	ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورُ
مَحُولُهُ مِنْ مَلُوكٍ كُنْدَةِ أَبْطَالٍ	مَلَاوِيثُ فِي الْحُرُوبِ صَقُورُ
نَخْلَفُوهُ ثُمَّ ابْدَعُوا جَمِيعًا	كُلَّهُمْ عَظُمَ سَاقُهُ مَكْسُورُ

* * *

قصه بعض أصنام العرب

قال ابن اسحاق :

ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسماعيل ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم ، حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد ، إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه ، فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنا من الحجارة ، وأعجبهم ، حتى خلف الخلوف (أى تتابع الزمان) ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة ، والوقوف على عرفة والمزدلفة وهدى البدن والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه ، فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا . قالوا « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك » فيؤحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ، ويجعلون ملكها بيده .

يقول الله تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم :
(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) .
أى ما يوحّدونى لمعرفة حتى إلا جعلوا معى شريكاً من خلقى .

* * *

وقد كانت لقوم نوح أصنام عكفوا عليها ، قصص الله تبارك
وتعالى خبرها على رسول الله فقال :
(وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ
وَيَعُوقَ وَتَسْرَآؤُا قَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا) .
هبل .. واساف .. ونائلة :

وهى من الأصنام المشهورة لدى قريش فكان هبل فى جوف الكعبة
واتخذوا أسافا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما .
قال ابن اسحاق :

وكان أساف ونائلة رجلا وامرأة من جرهم — هو أساف بن
بغى ، ونائلة بنت ديك فوق إساف على نائلة فى الكعبة ، فمسخهما
الله حجّرين

* * *

قال ابن اسحاق :
واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنماً يعبدونه ، فإذا أراد الرجل
منهم سفراً ، تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين

— ٢٠ —

يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به ، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله .

فلما بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش أ جعلت الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب .

• • •

الطواغيت :

وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ، وتهدى لها كما تهدى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها . وتنحدر عندها وهى تعرف فضل الكعبة عليها ، لأنها كانت قد عرفت أنها بيت ابراهيم الخليل ومسجده . فكانت لقريش وبني كنانة « العزى » بموقع عن يمين المسافر من مكة إلى العراق .

وكان سدنتها وحجباها . بنو شيبان .

• • •

وكانت اللات لتقيف بالطائف وسدنتها بنو معبث من ثقيف وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب .

وقال الكميت الشاعر فى شأن مناة :

وقد آلت قبائل لاتولى مناة ظهورها منحرفينا

• • •

وكان ذو الخلصة لدوس وخنعم وبجيلة ، ومن كان ببلادهم
من العرب ويروى في شأن ذي الخلصة أن رجلا كان أبوه قد
قتل فأراد الطلب بثأره ، فأقن ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام ،
فخرج السهم ينبيه عن ذلك ، فقال الرجل :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا
مثلى وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

* * *

كانت هناك أصنام وطواغيت أخرى كثيرة ذكرنا أهمها وأسماء
سكنتها والسنة هم الحجاب .

* * *

من تقاليد الجاهلية

البحيرة والسائبة والوصيلة :

قال ابن اسحاق :

فأما البحيرة فهي بنت السائبة ، والسائبة : الناقة إذا تابعت
(ولدت) عشر إناث ليس بينهن ذكر ، سيث فلم يركب ظهرها ،
ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف فما تمتعت بعد ذلك من

أنثى شقت أذنبا ، ثم خلى سبيلها مع أمها فلم يركب ظهرها ، ولم
يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها ،
فهذه هي البحيرة بنت السائبه .

* * *

والوصيلة :

الشاة إذا تأمت (جاءت بتوأم أى اثنين فى بطن واحد) عشر
إناث متتابعات فى خمسة أبطن ، ليس بينهما ذكر ، قالوا قد وصلت ،
جعلت وصيلة فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ،
إلا أن يموت منها شىء فيشتركوا فى أكله ذكورهم وإناثهم ،
والخامى :

الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهما ذكر ، حتى ظهره
فلم يركب ولم يجز وبره ، ونخل فى إبله يضرب فيها ، لا ينفع منه بغير ذلك ،
فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم
أنزل عليه :

(مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَآكَثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) .
وأنزل تعالى :

(وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ
عَلَىٰ أَرْوَاجِنَا وَلَئِنْ يَكُنْ مِنْهُمْ مَبِيتَةٌ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ
إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) .

وأنزل تعالى :

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا
قُلْ اللَّهُ أَدِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْسَرُونَ) .

* * *

أولاد عبد المطلب بن هاشم

قال ابن هشام :

فولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر وست نسوة : العباس
وحمزة ، وعبد الله ، وأبا طالب — واسمه عبد مناف — والزبير
والخارث وحبيلا والمقوم وضرارا وأباهب (اسمه عبد العزى
وأطلق عليه هذا الوصف لشدة احمرار وجهه) وصفية وأم حكيم
البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة .

* * *

فولد عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيده
ولد آدم ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة
ابن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

* * *

قال ابن اسحاق :

وكان عبد المطلب بن هاشم — فيما يزعمون والله أعلم — قد نذر حين لقي من قريش مالتى عند حفر زمزم ، لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه : لينحرن أحدهم لله عند الكعبة ، فلما توافى بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك فأطاعوه وقالوا : كيت نصنع ! قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم اثتوني : ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة وكان هبل على بر في جوف الكعبة وكانت تلك البر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة .

طريقة الاقتراع بالقداح :

وكان عند هبل قداح سبعة ، قدح مكتوب فيه « نعم » للأمر إذا أرادوه وقدح فيه « لا » إن خرج ذلك القدح لم يفعلوا الأمر : وقدح فيه « منكم » وقدح فيه « ملصق » وقدح فيه « من غيركم » وقدح فيه « المياه » إذا أرادوا أن يحفروا للماء :

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً ، أو ينكحوا منكحاً أو يدفنوا ميتاً أو شكوا في نسب أحدهم ، ذهبوا به إلى هبل وبمئة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا ، هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه ثم يقولون لصاحب القداح اضرب فإن خرج عليه « منكم » كان خالص النسب وإن خرج عليه « من غيركم » كان حليفاً وإن خرج عليه « ملصق » كان على منزلته فيهم

— ٢٥ —

لأنسب له ولا حلف وإن خرج فيه شيء مما سوى هذا مما يعملون به مثل « نعم » أطاعوا وإن خرج « لا » أخرجه عاماً حتى يأتوه به مرة أخرى .

ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح .

* * *

فقال عبد المطلب لصاحب القداح :

اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه ، وأخبره بنذره الذى نذر فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بنى أبيه ، كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ .

قال ابن اسحاق :

وكان عبد الله — فيما يزعمون — أحب ولد عبد المطلب إليه وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخذ صاحب القداح خرج القداح على عبد الله فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشقرة ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟

قال أذبحه .

ف قالت له قريش وبنوه ،

— ٢٦ —

والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه : لئن فعلت هذا لا يزال الرجل
يأتى بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا ؟

* * *

وقال له المغيرة بن عبد الله (وكان عبد الله ابن أخت القوم) :
والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه ؟ وقالت
له قريش وبنوه : لا تفعل وانطلق به إلى الحجاز : فإن به عرافة
لها تابع فسلها ثم أثبت على رأس أمرك إن أمرتك بذبحه ذبحته وإن
أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته .

* * *

فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها - فيما يزعمون - بنحير
فركبوا حتى جاءوها فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره ونحير
ابنه وما أراد به ونذره فيه .

فقالت لهم :

ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله فرجعوا من عندها
فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعوا الله ، ثم غدوا عليها فقالت لهم :
قد جاءنى الخبر ، كم الدية فيكم ؟

قالوا : عشر من الإبل (وكانت كذلك) .

قالت : فارجعوا إلى بلادكم ثم قاربوا صاحبكم وقربوا عشراً من
الإبل ثم اضرَبوا عليها وعليه القداح فإن خرجت على صاحبكم فزیدوا

من الإبل حتى يرضى ربكم وإن خرجت على الإبل فاتخروها عنه
فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم .

» « »

فخرجوا حتى قدموا مكة فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام
عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الإبل وعبد المطلب
قائم عند هبل يدعو الله عز وجل ، ثم خرجوا فخرج القدح على
عبد الله .

فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل عشرين .

وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل .

ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله .

فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل ثلاثين .

وقام عبد المطلب يدعو الله .

ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله . فزادوا عشرا من الإبل .
فبلغت الإبل أربعين . وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج
القدح على عبد الله .

وهكذا ظلوا يفعلون والقدح يخرج في كل مرة على عبد الله وهم
يزيدونها عشرا عشرا حتى بلغت عدد الإبل مائة .

وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل .

— ٢٨ —

فقال قريش ومن حضر : قد انتهى رضا وبك يا عبد المطلب •
 فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات •
 فضربوا على عبد الله وعلى الإبل • وقام عبد المطلب يدعو الله . فخرج
 القدح على الإبل • ثم عادوا الثالثة • وعبد المطلب قائم يدعو الله •
 فضربوا • فخرج القدح على الإبل •
 فنحرت المائة ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع •
 قال ابن هشام : لا يصد إنسان ولا سبع •

أنوار النبوة

قال ابن اسحاق :

ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبد الله ، فمرببه — فيما يزعمون —
على امرأة من بني أسد (قيل إنها رقية بنت نوفل) ، وهى أخت
ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وهى عند الكعبة ، فقالت له
حين نظرت إلى وجهه :

أين تذهب يا عبد الله ؟

قال : مع أبى .

قالت : لك مثل الإبل التى نحررت عنك وقع على الآن .

قال : أنا مع أبى ولا أستطيع خلافة ولا فراقه .

ويقال أنه أجابها شعراً :

أما الحرام فالحمام دونه والحل لا حل فأستبينه

فكيف بالأمر الذى تبغينه يحى الكريم عرضه ودينه

فخرج عبد الله حتى أتى به وهب بن مناف بن زهرة بن كلاب ،

وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفاً ؛ فزوجه ابنته آمنة بنت وهب

وهى يومئذ أفذل امرأة فى قريش نسباً وموضعاً ؛

زعموا . . أنه لما حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم
مر عبد الله يوماً بالمرأة التي عرضت عليه ما عرضت ؛ فقال لها :

مالك لاتعرضين على اليوم ماكنت عرضت على بالأمس ؟

قالت له : فاركك النور الذي كان معك بالأمس ؛ فليس لي
بك اليوم حاجة .

وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ؛ وكان قد تنصر وأتبع
الكتب : أنه سيكون في هذه الأمة نبي .

رواية عن آمنة بنت وهب :

قال ابن اسحاق :

ويزعمون — فيما يتحدث به الناس والله أعلم — أن آمنة بنت وهب
كانت تحدث ؛ أنها أتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم
فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ؛ فإذا وقع إلى الأرض فقولى :
أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا .

ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى
من أرض الشام .

وقد مات عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأم رسول الله حامل به .

**ولادة الرسول
صلى الله عليه وسلم**

قال ابن اسحاق :

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم الإثنين لاثنتي عشرة
ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل :
روى عن حسان بن ثابت أنه قال :

والله إني لغلّام يفعه : ابن سبع سنين أو ثمان . أعقل كل ما سمعت
إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمه (حصن) بيثرب
بامعشر يهود . حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له :
ويلك . مالك ؟

قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به .

• • •

قال ابن اسحاق :

فلما وضعت أمه صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى جده عبد المطلب
أنه قد ولد لك غلام ؛ فأتته فانظر إليه ؛ فأتاه فنظر إليه . وحدثته بما
رأت حين حملت به . وما قيل لها فيه . وما أمرت به أن تسميه .

فیزعمون أن عبد المطلب أخذه . فدخل به الكعبة : فقام يدعو الله . ويشكر ما أعطاه : ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، والتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعا . فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر يقال لها : حليلة ابنة أبي ذؤيب واسم أبيه الذي أرضعه صلى الله عليه وسلم : الحارث بن عبد العزى وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث : وحذافة بنت الحارث .
وهم حليلة بنت أبي ذؤيب .

* * *

قال ابن اسحاق :

وحدثني جهم بن أبي جهم عن حدثه قال :

كانت حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية . أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته تحدث : أنها خرجت من بلدها مع زوجها . وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر . تلتمس الرضعا قالت : وذلك في سنة شهباء . لم تبق لنا شيئاً . قالت : فخرجت على أتان لي قمراء (بياض يميل إلى القتومة) ومعنا شارب لنا (ناقة عجوز) والله ما تبض (ترشح) بقطرة : وما ننام ليلنا أجمع من ضبيننا الذي معنا : من بكائه من الجوع : ما في ثدي ما يغنيه . وما في شاربنا ما يغديه . ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج : فخرجت على إتانى تلك . فلقد أدمت بالركب (دلالة على بعد المسافة) حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجزاً : حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعا (وكان من

عادة أشرف العرب دفع أطفالهم إلى المراضع تخففاً عن أزواجهم .
فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه .
إذا قيل لها إنه يتيم . وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي .
فكنا نقول : يتيم ؟ وما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ فكنا نكرهه لذلك

فما بقبت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضعاً غريباً . فلما أجمعنا
الانطلاق قلت لصاحبي : والله . إني لأكره أن أرجع من بين
صواحبي ولم آخذ رضيعاً . والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاأخذنه .
قال : لا عليك أن تفعل . عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة .

قالت فذهبت إليه فأخذته . وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد
غيره . فلما أخذته رجعت به إلى رحلي . فلما وضعته في حجرى أقبل
عليه ثدياى بما شاء من لبن . فشرب حتى روى : وشرب معه أخوه
حتى روى : ثم ناما : وما كنا ننام معه قبل ذلك . وقام زوجي إلى
شارفنا تلك (الناقة) . فاذا لبنا حافل . فحلب منها ما شرب وشربت
معه : حتى انتهينا رياً وشبعاً . فبتنا بخير ليلة . قالت : يقول صاحبي
حين أصبحنا : تعلمي والله يا حليلة . لقد أخذت نسمة مباركة . قالت
فقلت : والله إني لأرجو ذلك . قالت ثم خرجنا وركبت أنا أثنى .
وحملته عليها معي : فوالله لقطعت بالركب : ما يقدر عليها شيء
من حمهم . حتى إن صواحبي ليقلن لي : يا ابنة أبي ذؤيب وبحك .

أربعى علينا . أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها ٤ . فأقول
لهن : بلى والله . إنها لهى هى . فيقولن : والله إن لها لشأناً . قالت :
ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب
منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً فتحلب
ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حى كان
الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم ويلكم أسرحوا حيث يسرح
راعى بنت أبى ذؤيب . فتروح أغنامهم جيعاً ما تبض بقطرة لبن :
وتروح غنمى شباعاً لبناً . فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير
حتى مضت سنتاه وفصلته .

وكان يشب شباباً لا يشبه الغسان فلم يبلغ سنه حتى كان غلاماً
جفراً (عظيم النمو) .

قالت : فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا
لما كنا نرى من بركته فكلسنا أمه وقلت لها : لو تركت أبى عندى حتى
يغلظ فانى أخشى عليه وباء مكة .
قالت : فلم نزل بها حتى رده معنا .

• " •

قصة الملكين وشق البطن :

قالت حليلة :

فرجعنا به فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه فى بهم لنا خلف
بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القرشى قد أخذه
رجالان عليهما ثياب بيض فأضجعا فشقا بطنه فهما يسوطانه .

— ٣٥ —

قالت : فخرجت أنا وأبوه (تبعى زوجها) نحوه فوجدناه قائماً منتقعا وجهه فالتزمته والتزمته أبوه فقلنا له : مالك يا بني قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأصجعاني وشعا بطني فالتسا فيه شيئاً لا أدري ما هو .

قالت : فرجعنا به إلى خبائثنا . . وقال لي أبوه : يا حليلة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به . قالت : فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت : ما أقدمك به يا ظئر (ذات العطف على ولد غيرها) وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ؟

قالت : فقلت : قد بلغ الله بابني وقضيت الذي على وتخوف الأحداث عليه : فأدبته إليك كما تحبين .

قالت : ما هَذَا شأنك فاصدقيني خبرك .

قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها .

قالت أفتخوفت عليه الشيطان .

قالت حليلة : نعم .

كلا : والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لابني لشأناً أفلا أخبرك خبره . ؟

قالت حليلة : بلى .

قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصوو بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط

— ٣٦ —

كان أخف على ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وإنه لو اضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء دعيه عنك وانطلق راشدة .

* * *

حديث النبي عن هذه القصة :

في رواية ابن اسحاق :

أن نفرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له يا رسول الله : أخبرنا عن نفسك ؟

قال نعم : أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخى عيسى ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام واسترضعت فى بنى سعد بن بكر فبينما أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً ثم أخذاني فشقا بطنى واستخرجا قلبي فشقاها فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطنى بذلك الثلج حتى أنقياه ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمتة فوزنى بهم فوزنتهم .

ثم قال زنه بمئة .

فوزنى بهم فوزنتهم .

ثم قال زنه بألف من أمتة .

فوزنى بهم فوزنتهم .

فقال : دعه عنك فوالله لووزنته بأمتة لووزنتها .

* * *

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من نبي إلا وقد رعى الغنم .

مبيل : وأنت يا رسول الله ؟
قال : وأنا .

* * *

وزعم الناس فيما يتحدثون والله أعلم : أن أمه السعدية لما قدمت
به مكة أضلها في الناس وهي مقبلة به نحو أهله فالتسته فلم تجده فأتت
عبد المطلب فقالت له : إني قد قدمت بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت
بأعلى مكة أضلني فوالله ما أدرى أين هو .

فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده .
فيزعمون أنه وجدته ورقة بن نوفل بن أسد ورجل آخر من قريش
فأتيا به عبد المطلب فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة .
فأخذه عبد المطلب . فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة يعوده
ويدعو له ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

* * *

وفي رواية لابن اسحاق قال : وحدثني بعض أهل العلم :
أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه مما سبق تفصيله ، أن نفرأ
من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه ، فنظروا إليه
وسألوها عنه ثم قالوا لها :

لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به إلى ملكنا وبلدنا فان هذا غلام
كائن له شأن نحن نعرف أمره فزعم الذي حدثني أنها لم تكذ تنفلت
٤ منهم .

* * *

النبي في
طفولته

قال ابن اسحاق :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب ،
وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه ينبتة الله نباتاً حسناً
لما يريد به من كرامته . فلما بلغ رسول الله ست سنين ، توفيت أمه
آمنة بنت وهب بالأبواء . بين مكة والمدينة . وكانت قد قدمت به على
أخواله من بني عدى بن النجار تزييره إياهم فماتت وهي راجعة به
إلى مكة .

* * *

وروى ابن اسحاق عن إكرام عبد المطلب للنبي في طفولته قال :
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم
وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة . فكان بنوه يجلسون
حول فراشه ذلك حتى يخرج إليهم . لا يجلس عليه أحد من بنيهم لإجلاله
له . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفرا
حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب
إذا رأى ذلك منهم :

دعوا ابني فوالله إن له لشأنا .
ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه .
يصنع .

وفاة جد النبي

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى سنين هلك عبد المطلب
ابن هاشم وذلك يعد القيل بثمانى سنين ورسول الله ابن ثمانى سنين .
قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن سعيد بن المسيب :
أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف أنه ميت جمع بناته
وكن ست نسوة : صفية . وبرة . وعاتكة . وأم حكيم البضاء .
وأمية . وأروى .

فقال لهن : ابكين على حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت فكان
مما قالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أباهما :
أرقت لصوت نائحة بلبل . على رجل بقارعة الصعيه
ففاضت عنده ذلكم دموعي على خدي كمنحدر الفريد (١)
على رجل كريم غير وغل (٢) له الفضل المبين على العبيد
على الفياض شبيه ذى المعالي أبيتك الخير وارث كل جود
صدوق في المواطن غير نكس ولا شخت المقام ولا سنيد (٣)
طويل الباع أروع شيطمي (٤) مطاع في عشيرته حميد

(١) الدر (٢) الساقط المروءة .

(٣) سنيد . . الضعيف . . الشخت المعال (٤) ضخم الجسم .

— ٤٠ —

ورفع البيت أبلج ذى فضول وغيث الناس فى الزمن الحروود

.....

* * *

قلو خلد امروء لقديم مجد ولكن لا سبيل إلى الخلود
لكان مخلدا أخرى اللبالي بفضل المجد والحسب التليد

* * *

وكان مما قالت برة بنت عبد المطلب تبكى أباه :

أعبنى جودا بدمع درر على طيب الخيم والمعتصر
على ماجد الجود وارى الزناد جميل الحميا عظيم الخطر
هلى شية الحمد ذى المكرمات وذى المجد والعز والمفتخر

* * *

وكان مما قالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكى أباه :

أعبنى جودا ولا تبخلا بدمعكما بعد نوم النيام
هلى شية الحمد وارى الزناد وذى مصدق بعد ثنت المقام
وسيف لدى الحرب صمصامة ومردى المخاصم عند الحصام

* * *

وكان مما قالت أم حكيم :

ألا يا عين وشك اسعفينى بدمع من دموع هاطلات
وبكى خير من ركب المطايا أباك الخير تيار الفرات
حقيل بنى كنانة والمرجى إذا ما الدهر أقبل بالهفات

* * *

— ٤١ —

وذهبت كل واحدة تكي أباهما شعراً .

قال ابن إسحاق :

فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيب أن عبد المطلب أشار برأسه وقد اعتقل لسانه أن هكذا فابكينني .

فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ، ولى زمزم والسقاية عليها بعده العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ من أحدث إخوته سناً ، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وهي بيده . فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما مضى من ولايته .

* * *

النبي والراهب بحيرى

قال ابن إسحاق :

وكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده فكان إليه ومعه .

وقد حدث أن رجلاً من لُهب — كان عائفاً (شديد الفراسة) فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظرون إليهم ويعتاف لهم فيهم . قال : فأتى به أبو طالب وهو غلام ، مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ سأل عن الغلام وقال : حلى به . فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه .

فجعل يقول : ويلكم ! ردوا على الغلام الذى رأيت أننا ؛ فوالله ليكونن له شأن .

ثم أن أبا طالب خرج فى ركب تاجراً إلى الشام ؛ فلما نهياً للرحيل وأجمع على المسير صب به (رغب إليه) رسول الله — فيما يزعمون — ق له أبو طالب . وقال : والله لأخرجن به معى . ولا يفارقنى أفارقه أبدا . أو كما قال .

فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام ؛ وجها راهب يقال له بحيرى فى صومعة له . وكان إليه علم النصرانية . ولم يزل فى تلك الصومعة منذ صار راهبا . إليه يصير علمهم عن كتاب — فيما يزعمون — يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببخري ؛ وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم . حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيراً وذلك عن شيء رآه وهو فى صومعته يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى صومعته . فى الركب حين أقبلوا ؛ وعمامة تظله من بين القوم . ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه . فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة . وتهضرت (مالت) أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها ؛ فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته . ثم أرسل إليهم . فقال : إني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش . فأنا أحب أن تحضروا كلكم . صغيركم وكبيركم . وعبدكم وحرکم .

فقال له رجل منهم .

والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم ؟ فما كنت تصنع بنا وقد كنا
فهر بك كثيرا ؟ فما شأنك اليوم ؟

فقال له بحيرى : صدقت : قد كان ما تقول ؟ ولكنكم ضيف
وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلوا منه كلكم ؟

* * *

النبى فى وليمة بحيرى :

فاجتمعوا إليه . وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذهاب
لحدائة سنة ، فى رحال القوم تحت الشجرة :

فلما نظر بحيرى فى القوم لم ير الصفة التى يعرف فقال : يا معشر
قريش ، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى ؟

قالوا له : يا بحيرى ، ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك
إلا غلام ، وهو أحدث القوم سناً فتخلف فى رحالهم ؟

فقال : لا تفعلوا ، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم .

فقال رجل من قريش مع القوم :

واللات والعزى ، إن كان للوم بنا أن يتخلف ابن عبد الله
ابن عبد المطلب عن طعام من بيننا ؟

ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم .

* * *

بحيرى يسأل النبى :

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بحيرى فقال له : يا غلام ؛ أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه .

ولما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يخلفون بهما (أى باللات والعزى) .

فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :

لا تسألنى باللات والعزى : فوالله ما ابغضت شيئاً قط بغضهما .

فقال له بحيرى :

فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه .

فقال له : سألنى عما بدأ لك .

فجعل يسأله عن أشياء من حاله فى نومه وهنائه وأموره .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ؛ فيوافق ذلك ما عنده

بحيرى من صفته ؛ ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده .

قال ابن هشام ؛ وكان مثل أثر المحجم .

قال ابن اسحاق :

فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب ؛ فقال له :

— ٤٥ —

ما هذا الغلام منك ؟

قال : ابني .

قال بحيرى : ما هو بابنك ؛ وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً ؟

قال : فانه ابن أخى .

قال : فما فعل أبوه ؟

قال : مات وأمه حبلى به .

قال : صدقت ؛ فارجع بابن أخيك إلى بلده ؛ واحذر عليه يهود ؛ فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغته شراً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ؛ فأسرع به إلى بلاده .

* * *

فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام ؛ فزعموا فيما روى الناس : أن زريرا وتامماً ودريساً ؛ وهم نفر من أهل الكتاب ، قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر ؛ الذى كان فيه مع عمه أبي طالب ؛ فأرادوا قتله فردهم عنه بحيرى ، وذكرهم بالله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم ؛ وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه .

* * *

فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلاً هو أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم نسباً ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلاًماً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال فنزها وتكرما ، حتى ما أسموه في قومه الأمين ، إلا لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

* * *

في رعاية الله :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر لي — يحدث
 هما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته ، أنه قال :

لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما ياعب به
 الغلمان ، كلنا قد تعرى ، وأخذ إزاره فجعله على رقبتيه ، يحمل
 عليه الحجارة ، فلاني لأقبل معهم كذلك وأدير ، إذ لكنني لأتم لم
 أره لكمة وجيعة ، ثم قال اشدد عليك إزارك .

قال صلى الله عليه وسلم : فأخذته وشدته على ثم جعلت أحمل
 الحجارة على رقبتى وإزارى على من بين أصحائي .

في حروب الفجار

من رواية لابن هشام :

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة ، هاجت حرب الفجار بين قريش ، وكان الذي هاجها أن عروة الرحال أجار قافلة تحمل تجارة .

فقال له البراض بن قيس (من كنانة) : أتجيرها على كنانة ... ؟

فقال عروة : نعم وعلى الخلق كله .

فخرج عروة الرحال مع القافلة وخرج البراض خلفه يطلب غفلته حتى إذا كان (بجهة ذى طلال) بعالية نجد غفل عروة ، فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فلذلك سمي الفجار .

وفي ذلك قال البراض :

وداهية تبهم الناس قبلي شددت لما بنى بكر ضلوعي
هدمت بها بيوت بني كلاب وأرضعت الموالى بالضروع
رفعت له بذى طلال كفي فخر يمد كالجذع الضريع

* * *

قال ابن هشام :

فأتى آت قريشاً فقال :

إن البراض قد قتل عروة ، وهم في الشهر الحرام بعكاظ ،
فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم ، ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم ، فأدركوهم
قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم .

فأمسكت عنهم هوازن .

ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً ، والقوم متساندون على كل قبيل
من قريش وكنانة رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم ؛

* * *

وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم ، أخرجه
أعمامه معهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أنبل على أعمامى ؛
أى أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها .

“ ”

زواج النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام :

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة . تزوج
خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة
ابن كعب بن لؤى بن غالب فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم .
وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ،
تستأجر الرجال في مالها ، بشيء تجعله لهم ، وكانت قريش قوماً تجاراً ،
فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها ، من صدق حديثه ،
وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في
مال لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من

التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام .

فنزّل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان (قيل إن اسم هذا الراهب نسطور) ، فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال له :

من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟

قال له ميسرة : هذا رجل من قریش من أهل الحرم .

فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي (أى الذى نزل تحتها الآن) .

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعهم ميسرة . فكان ميسرة — فيما يزعمون — إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلاله من الشمس — وهو يسير على بعيره .

فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به ، فأضعف أو قريباً .

وحديثها ميسرة عن قول الراهب . وعما كان يرى من إضلال الملكين إياه . وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة . مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له — فيما يزعمون — يا بن عم إنى قد

— ٥. —

و غبت فيك لقرابتك ، وأمانتك وحسن خلقك ، وصدق حديثك .
ثم عرضت عليه نفسها .

و كانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً ،
وأكثرهن مالاً . كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه
فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب رحمه الله ، حتى دخل على خويلد
ابن أسد فخطبها إليه فتزوجها .

وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة ، وكانت
أول امرأة تزوجها . ولم يتزوج عليها غيرها حتى مات رضي الله عنها .
فولدت لرسول الله ولده كلهم إلا إبراهيم والقاسم وبه كان
يكفى صلى الله عليه وسلم ، والطاهر والطيب وزينب ورقية
وأم كلثوم وفاطمة ؛

قال ابن إسحق :

فأما القاسم ، والطيب ، والطاهر ، فهلكوا في الجاهلية ، وأما
بناته فكلهن أدركن الإسلام ؛ فأسلمن وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .
وأم إبراهيم : مارية سرية النبي صلى الله عليه وسلم التي أهداها
إليه المقوقس .

• • •

حديث خديجة عن النبي مع قومها :

قال ابن إسحاق :

وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد ،
وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ،
ما ذكر لها غلامها ، وكان ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه
إذ كان الملكان يظلاله .

فقال ورقة :

لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد
عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر ، هذا زمانه .

* * *

وروى أن ورقة جعل يستبطن بعد ذلك أمر بعث النبي ، وكان
مما روى عنه قوله شعراً :

لحجت وكنت في الذكرى لجوجا	لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف	فقد طال انتظارى يا خديجا
بطن المكتن على رجائي	حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس	من الرهبان أكره أن بعوجا
بأن محمداً ميسود فينا	وبخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور	يقم به البرية أن تموجا

فيلتى من يحاربه خساراً ويلتى من يسلمه فلوجا
 فياليتنى إذا ما كان ذاكهم شهدت فكنت أولهم ولوجا
 ولوجا فى الذى كرهت قریش ولو عجت بمكثها عجيجا
 فإن يبقوا وأبق تكن أمور يضحج الكافرون لها ضجيجا
 وإن أهلك فكل فى سيلتى من الأقدار متلفة حروجا

* * *

اختلاف قریش فى بناء الكعبة وحكم النبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة ،
 اجتمعت قریش لبنان الكعبة ، وكانوا يهيمون بذلك ليستقفوها
 ويهايون هدمها وذلك أن نفراً سرقوا كنز الكعبة الذى كان فى بئر
 فى جوف الكعبة ، وكان الذى وجد عنده الكنز يسمى دويك ،
 مولى لبنى مليح بن عمرو من خزاعة فقطعت قریش يده وترغم
 قریش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك ۝

وكان البحر قد رى بسفينة إلى ميناء جدة لرجل من تجار الروم
 فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها (تسقيف الكعبة) وكان
 بمكة نجار قبلى فهبأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت هناك
 حبة تخرج من بئر الكعبة التى كان يطرح فيها ما يهدى للكعبة كل يوم

فتنشرق الحية على جدار الكعبة (تنطرح) وكانت مما يهابون وذلك
أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزألت وكشت وفتحت فاهها ، لذلك
كانوا يهابونها ٥

فبينا هي ذات يوم تنشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث
الله إليها طائراً فاخطفها فذهب بها .

فقال قريش :

إننا لنرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رفيق ،
وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية ٥

فلما اجتمعوا أمرهم في هدمها وبناءها ، قام أبو وهب بن عمرو
فتناول من الكعبة حجراً ، فقال :

يا معشر قريش لا تدخلوا في بناءها من كسبكم إلا طيباً لا يدخل
فيها مهر بغى ، ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس .

• • •

تقسيم الأعمال بين قريش :

ثم إن قريشاً جزأت الكعبة فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة
وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من
قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم وكان
شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبنى أسد بن العزى ٥

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه فقال الوليد بن المغيرة
أنا أبدوكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم إنا
لا نريد إلا الخير ؛

ثم هدم من ناحية الركنين . فترى الناس تلك الليلة . وقالوا :
تنظر فإن أصيب لم يهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت . وإن لم يصبه
شيء فقد رضى الله صنعنا . فهدمنا .

* * *

وأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله . فهدم وهدم الناس معه
حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس ، أساس إبراهيم عليه السلام ،
أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة أخذ بعضها بعضا ؛

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض من يروى الحديث :

أن رجلا من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين
منها ليقلع بها أحدهما فلما تحرك الحجر تنقضت (اهتزت) مكة بأسرها
فانتهوا عن ذلك الأساس .

* * *

قال ابن إسحاق :

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع
على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه ،
كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تجاوزوا
(نعصب كل لقبيلته) وتحالفوا وأعدوا العدة للقتال فقربت بنو

عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة وكانوا يسمون هذا العمل لعقمة الدم .

فبكث قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا . ثم إنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا .

اقتراح بالتحكيم :

وزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة وكان يومئذ أسن قريش كلها قال : يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيما تفعلون فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا : هذا الأيمن رضيينا هذا محمد ...

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال : هلم إلى ثوبا ، فأتى به ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناصية من الثوب ثم ارفعوه جميعا . ففعلوا ، حتى إذا بلغوا موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه .

» » »

وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي : الأيمن فلما فرغوا من البنين وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطب :

فقمنا حاشدين إلى بناء لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه وليس على مسوينا ثياب

أعز به المليك بنى لوى فليس لأصله منهم ذهاب
فبأنا المليك بذلك عزا وعند الله يلتبس الثواب

* * *

الاحداث التى سبقت البعث

قال ابن إسحاق :

وكانت الأحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من
العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما
تقارب زمانه .

أما الأحبار من يهود والرهبان من النصارى ، فغما وجدوا فى
كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه ،
وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسرق من السمع ،
إذ كانت الشياطين لم تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان
الكاهن والكاهنة فى ذكر كثير من هذه العلامات ، لا تلقى العرب
لذلك فيه بالا ، حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الأمور التى كانوا
يذكرون فعرفوها .

* * *

فلما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب مبعثه ،
حجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت

تفقد لاستراق السمع فيها ، منعوا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد .

يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد حين بعثه وهو يقص عليه خبر الجن إذ حجبوا عن السمع فعرفوا ما عرفوا ، وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا .

(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا . وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا . وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنس وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) .

إلى قوله تعالى ،

(وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ مِنْهَا رَصَدًا . وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمْنٌ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) .

* * *

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما منعت من السمع قبل ذلك لئلا يشكل الوحي بشيء من خبر السماء فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ، لوقوع الحجة وقطع الشبهة فآمنوا وصدقوا ثم ا

(وَلَوْأ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وكان قول الجن « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً » أنه كان الرجل من العرب من قریش وغيرهم إذا سافر فنزل بطن واد من الأرض ليبيت فيه قال : إلى أعوذ بعزیز هذا الوادی من الجن الليلة من شر ما فيه .

* * *

رمى الجن بالنجوم وفزع العرب :

كان حى ثقيف أول حى فزع للرمى بالنجوم ، وروى أنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية وكان أدهى العرب وأنكرها (أقومها) رأياً - فقالوا له : يا عمرو ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟

قال : بلى ، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس في معاشهم هي التي يرمى بها فهو والله طى الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها وإن كانت نجوماً غيرها وهي ثابتة على حالها ، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق .

* * *

حديث النبى عن رمى الجن بالنجوم :

قال ابن اسحق : وذكر محمد بن مسلم عن علي بن الحسين عن عبد الله بن عباس عن نفر من الأنصار : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : ماذا كنتم تقولون في هذا النجم الذى يرى به ؟ قالوا : يا نبي الله ، كنا نقول حين رأيناها يرى بها : مات ملك ، قام ملك ، ولد مولود ، مات مولود :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك كذلك ، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خلقه أمراً سمعه حملة العرش ، فسبحوا فسبح من تحتهم ، فسبح لتسبيحهم من تحت ذلك ، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض : مم سبحتم ؟ فيقولون : سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم فيقولون ألا تسألون من فوقكم مم سبحوا ؟ فيقولون مثل ذلك حتى ينتهى إلى حملة العرش فيقال لهم : لم سبحتم ؟ فيقولون : قضى الله في خلقه كذا وكذا ، للأمر الذى كان ، فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيتحدثوا به ، فاسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاف ، ثم يأتوا به الكهان من أهل الأرض فيحدثوهم به فيخطئون ويصيبون ، فيتحدث به الكهان ، فيصيرون بعضاً ويخطئون بعضاً ، ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين هذه النجوم التى يقدفون بها ، فأنطعت الكهانة اليوم فلا كهانة .

رواية عن مصاحبة الشياطين لبعض الانس :

قال ابن إسحاق :

إن امرأة من بني سهم ، يقال لها الغيطة ، كانت كاهنة في الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالي ، فانقض تحتها ثم قال : أدر ما أدر ، يوم عقر ونحر ، فقالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فانقض تحتها ، ثم قال : شعوب ما شعوب ، تصرع فيه كعب لجنوب ، فلما بلغ ذلك قريشا قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن : فانظروا ما هو ؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب فعرفوا أنه الذي جاء به إلى صاحبه .

* * *

قال ابن إسحاق :

إن جنبا : (بطن من اليمن) كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب : قالت له جنب : أنظر لنا في أمر هذا الرجل . واجتمعوا له في أسفل جبله ، فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل ينزو (يقفز) ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ، ومكثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم ذهب في جبله راجعاً من حيث جاء .

وفي رواية عن ابن اسحاق أيضاً عن عبد الله بن كعب ، مولى
عثمان بن عفان ، أنه حدث :

أن عمر بن الخطاب بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل من العرب داخلا المسجد يريد عمر
بن الخطاب فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه قال : إن هذا الرجل لعل
شركه ما فارقه بعد ، أو لقد كان كاهناً في الجاهلية فسلم عليه الرجل
ثم جلس فقال له عمر رضى الله عنه : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير
المؤمنين قال له فهل كنت كاهناً في الجاهلية فقال الرجل مبهحاً لله
يا أمير المؤمنين لقد خلت في واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من
رعيتك منذ وليت ما وليت ، فقال عمر : اللهم غفراً : قد كنا في
الجاهلية على شر من هذا نعبد الأصنام ، ونعتنق الأوثان : حتى أكرمنا
الله برسوله وبالإسلام ؟ قال : نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت
كاهناً في الجاهلية قال : فأخبرني ما جاءك به صاحبك الجني ؟
قال : جاء قبل الإسلام بشهر أو شيعة فقال ألم تر إلى الجن وإبلاسها •
وإباسها في دينها ؟ ولحوقها بالقلاص وأحلاسها •
قال عبد الله بن كعب .

فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس : والله إنني لعند
ولن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش ؟ قد ذبح له رجل من العرب
مجلًا ، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه إذ سمعت من جوف العجل

صوتاً ما سمعت صوتاً قط أنفاد منه ، وذلك قبيل الإسلام بشهر
أو شيعه ، يقول يا ذريح أمر نجيح - رجل يصيح يقول : لا إله إلا الله ،

* * *

قال ابن هشام . وأنشد بعض أهل العلم .

صجبت للجن وإبلاسها وشدها العيس بأحلاسها
صهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنوا الجن كأنجاسها

* * *

اليهود وبعث النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال
قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهداه لنا ،
هو ما كنا نسمع من رجال يهود ، كنا أهل شرك أصحاب أوثان ،
وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا .

وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون
قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن تقتلكم معه قتل عاد
وإرم ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم : فلما بعث الله رسوله
صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا
يتوعدوننا ، فبادرناهم إليه ، فأما به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت
هذه الآيات من البقرة .

(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) .



وتحدث سلمة بن سلامة من أصحاب بدر قال :

كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل ؛ فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل — قال سلمة — وأنا يومئذ من أحدث من فيه سنا ، على بردة لي ، مضطجع فيها بغناء أهلي — فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك ، أصحاب أوثان لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموات ؛ فقالوا له : ويحك يا فلان ! أو ترى هذا كائناً ، إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟

قال : نعم ، والذي يخلف به ، ولود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطيقونه عليه ، وأن ينجو من تلك النار غدا .

فقالوا له : ويحك يا فلان ! فما آية ذلك ؟

قال . نبي مبعوث من نحو هذه البلاد . وأشار بيده إلى مكة واليمن .

— ٦٤ —

فقالوا : ومضى نراه ؟

قال : فنظر إلى . وأنا من أحدثهم سناً . فقال : إن يستأنف
هذا الغلام عمره يدركه .

قال سلمة :

فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسوله صلى الله
عليه وسلم ، وهو حي بين أظهرنا فآمننا به وكفر به بغياً وحسداً .

قال سلمة : فقلنا للرجل . ويحك يا فلان ، ألسنت الذي قلت لنا
في محمد ما قلت ؟

قال : بلى ولكن ليس به .

» » »

بحث قريش في الأديان

قال ابن اسحاق :

واجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم ، كانوا
يعظمونه وينحرون له . ويعكفون عنده ، ويدبرون به . وكان ذلك
عيداً لهم في كل سنة .

فخلص منهم أربعة نجيا : ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكنم
بعضكم على بعض .
قالوا : أجل .

وهم ورقة بن نوفل : وعبد الله بن جحش . وكانت أمه أمة بنت عبد المطلب وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو فقال بعضهم لبعض :

تعلموا والله ما قومكم على شيء ! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم - ما حاجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ! يا قوم . اتمسوا لأنفسكم ديناً : فإنكم والله ما أنتم على شيء .
فتفرقوا في البلدان يلتحمسون الخنيفة دين إبراهيم .

* * *

فأنت ترى من ذلك حيرة الناس وعدم اطمئنانهم إلى ما يعبدون في انتظار الدين الحق الذي عنه يبحثون وإنك لتجد حيرة القوم فيما تذكره لنا رواية لأسماء بنت أبي بكر قالت :

لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً مسنداً ظهره إلى الكعبة وهو يقول : يامعشر قريش . والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري : ثم يقول : اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به . ولكني لا أعلمه . ثم يسجد على راحته .

قال ابن اسحاق :

وحدث أن ابنه سعيد بن عمرو بن نفيل وعمر بن الخطاب وهو ابن عمه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنستغفر لزيد بن عمرو؟ قال : نعم : فإنه يبعث أمة وحده .

ومن قول زيد بن عمرو في فراق دين قومه وما كان لى منهم
فى ذلك .

أرباً واحداً أم ألف رب	أدين إذا تقسمت الأمور
عزلت اللات والعزى جميعاً	كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابتئها	ولا صنمى بنى عمرو أزور
ولا هبلا أدين وكان رباً	لنا فى الدهر إذ حلمى يسير
ولكن أعبد الرحمن ربى	ليغفر ذنبى الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها	متى ما تحفظوها لاتبوروا
ترى الأبرار دارهم جنان	وللكفار حامية سعي
وخزى فى الحياة وإن يموتوا	يلاقوا ما تضيق به الصدور

• • •

ذكر النبى فى الانجيل

قال ابن اسحاق :

وقد كان ، فيما بلغنى عما كان وضع عيسى بن مريم فبما جاءه من
الله فى الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
مما أثبت بحسن الحوارى لهم حين نسخ لهم الإنجيل ، عن عهد عيسى
ابن مريم عليه السلام فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

من أبغضني فقد أبغض الرب . ولولا أني صنعت محضرتهم
صنائع لم يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بطروا
وظنوا أنهم يعزوني . وأيضاً للرب ، ولكن لابد من أن تتم الكلمة التي
في الناموس : أنهم أبغضوني مجاناً أي باطلا . فلو قد جاء المنحمن
هذا الذي يرسله إليكم من عند الرب . روح القدس هذا الذي من
عند الرب خرج ، فهو شهيد على ، وأنتم أيضاً لأنكم قد بدأتم معي ،
في هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا :

« والمنحمن بالسريانية : محمد . . واسمه بالرومانية : البرقليطس
صلى الله عليه وسلم)

بعث النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن اسحاق :

فلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين بعثه الله
رحمة للعالمين : وكافة للناس بشيراً وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ
الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به والتصديق له والنصر له على من
خالفه وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم
فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه ، يقول الله تعالى لمحمد
صلى الله عليه وسلم :

(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ
ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ
أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي) .

أى ثقل ما حملتكم من عهدى .

(قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) .

فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له ونصره على من خالفه
وأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل الكتابين :
إبتداء الرسالة :

قال ابن اسحاق عن الزهرى بن عروة عن عائشة رضى الله عنها
أنها حدثته :

أن أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين
أراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله
رؤيا فى نومه إلا جاءت كفلق الصبح . قالت : وحبب الله تعالى
إليه الخلوة فلم يكن شئ أحب إليه من أن يَخاو وحده .
وفى رواية عن أهل العلم :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله بكرامته وابتدأه
بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تخسر عنه البيوت ويقضى
إلى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، قال : فيلتفت
رسول الله حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة .
فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ويسمع ما شاء الله أن
يُكث ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله وهو يخرأ
فى شهر رمضان :

عادة النبي في التحنث :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء كل سنة شهراً وكان ذلك مما تتحنث (تترر) به قريش في الجاهلية ، وفي هذا الشهر من كل سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة ، قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ماشاء الله من ذلك . ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته . من السنة التي بعثه الله تعالى فيها وذلك الشهر شهر رمضان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمهم الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى . وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

لجاءني جبريل وأنا نائم بنمط (وعاء) من ديباج (حرير) فيه كتاب فقال :

اقرأ

قلت : ما أقرأ ؟

فغثنى (حبس نفسي) به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني .

فقال : اقرأ .

قلت : ما أقرأ ؟

— ٧٠ —

ففتنى به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت :
ماذا اقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود إلى بمثل ما صنع بى .
فقال :

(اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) .
قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني ، وهيب من نومي فكأنما
كتبت في قلبي كتاباً فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل
سمعت صوتاً من السماء يقول :

يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل ،

قال : صلى الله عليه وسلم : فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا
جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول يا محمد أنت
رسول الله وأنا جبريل ،

قال : فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف
وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ،
فما زلت واقفاً ما أتقدم أماًى وما أرجع ورأى حتى بعثت خديجة رسلها
في طلبي فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف مكاني ذلك ثم
انصرف عني .

وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فقالت : يا أبا القاسم
أبني كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلى .

ثم حدثتها بالذي رأيت .

فقلت : أبشر يا بن عم وأثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة .

حديث ورقة بن نوفل :

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع . فقال ورقة بن نوفل : قدوس قدوس (أي مطهر مطهر) والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس (إشارة إلى الوحي) الأكبر الذي كان يأتي موسى وإنه لنبي هذه الأمة فقول لي فليثبت .

فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل فلما قضى رسول الله جواره وانصرف ، صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقية ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال :

يا بن أخي ، أخبرني بما رأيت وسمعت .

فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ورقة والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكدبه الناس ولتؤذبه ولتخرجنه ولتقاتلنه ، ولئن أدركت ذلك لآبصرن الله نصراً يعلمه ثم أدنى رأسه فقبل يافوخه .

— ٧٢ —

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ۞

■ ■ ■

قال ابن اسحاق ۞ وحدثني اسماعيل بن أبي حكيم ۞
أنه حدث عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أى ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذى يأتيك
إذا جاءك ؟

قال : نعم ۞ قالت فإذا جاءك فأخبرني به ۞
فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع ۞
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : يا خديجة هذا جبريل
قد جاءني ۞

قالت : قم يا بن عم فاجلس على فخذي اليسرى ۞
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ۞
قالت : هل تراه ؟
قال : نعم ۞
قالت فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله جالس في حجرها ۞
ثم قالت له : هل تراه ؟
قال : لا ۞

قالت : يابن عم أثبت وأبشر فوالله إنه للملك وما هذا بشيطان ،

* * *

قال ابن اسحاق :

ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل في شهر رمضان
بقول الله عز وجل :

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ
مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ..)

وقال تعالى :

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ
الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ
مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) .

وقال تعالى :

(حَمِّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا
مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ .)

وقال تعالى :

(إِن كُنتُمْ تَكْفُرُونَ أَلَمْ تَكُونُوا أَقْنَمَ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ
التَّفْقِي الْجَمْعَانِ) .

وذلك ملتي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركن يوم بدر
وقيل إن ذلك كان يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان .

قال ابن اسحاق :

ثم تنام الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مؤمن
بالله مصدق بما جاءه منه . قد قبله بقبوله ، وتحمل منه ما حملة على رضا
العباد وسخطهم ، والنهية أثقال ومؤنة ، لا يحملها ولا يستطيع بها إلا
أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يلقون من
الناس وما يرد عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى :

فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على ما يلقى
من قومه من الخلاف والأذى .

~ ~ *

صلاة السيدة خديجة

وكان أول من آمن به صلى الله عليه وسلم السيدة خديجة فشدت
بذلك أزره بفضل الله فكان لا يسمع شيئاً من القوم مما يكره إلا فرج
الله عنه بها إذا رجع إليها : تثبته وتحفف عنه ، وتصدقه وتهون
عليه أمر الناس :

فكان جزاؤها من الله ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم حين
قال : أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب

قال ابن هشام : : القصب : اللؤلؤ المجوف . . وقال : وحديثي
من أتق به :

أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال
اقرأ خديجة السلام من ربها فقال رسول الله : يا خديجة ، هذا جبريل
يقرئك السلام من ربك :

فقلت خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل
السلام .

* * *

ثم قال ابن اسحاق :

ثم فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة من الزمن
حتى شق ذلك عليه فأحزنه ، فجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له
ربه فيها وهو الذي أكرمه بما أكرمه به ، ماودعه وما قلاه ، فقال
تعالى :

(وَالضُّحَى
وَإِلَّا الضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) .

يقول ما حرمك فتركك ، وما أبغضك من أحبك .

(وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى) .

أي ما عندي من يرجعك إلى : خير لك مما عجلت لك من
الكرامة في الدنيا .

— ٧٦ —

(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) .

من الفلاح في الدنيا والثواب في الآخرة .

(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) .

يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ، ومنه عليه في يتمه وعيلته وضلالته . واستنقاذه من ذلك كله برحمته .

* * *

كيف فرضت الصلاة

قال ابن إسحاق :

افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين . كل صلاة ، ثم إن الله تعالى أتمها في الحضر أربعاً ، وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين ، وقال : إن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهمز بعقبه في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين ؛ فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله كما رأى جبريل

توضاً ، ثم قام به جبريل فصلى به ، وصلى رسول الله بصلاته ، ثم انصرف جبريل عليه السلام :

* * *

فجاء رسول الله خديجة ، فتوضاً لها ليربها كيفة الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ ، ثم صلى بها رسول الله كما صلى به جبريل ، فصلت بصلاته :

تحديد أوقات الصلاة

قال ابن إسحاق في رواية عن نافع بن جبر وكان نافع كثير الرواية عن ابن عباس قال :

لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام فصلى به الظهر حين مالت الشمس ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق . ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ، ثم جاءه فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس : ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول : ثم صلى به الصبح مسفراً غير مشرق ثم قال : يا محمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس :

* * *

على بن أبى طالب

قال ابن اسحاق :

ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى معه وصدقته بما جاءه من الله تعالى : على بن أبى طالب بن
هبة المطلب بن هاشم ، رضوان الله وسلامه عليه وهو يومئذ ابن
عشر سنين .

وكان مما أنعم الله به على على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان
فى حجر رسول الله قبل الإسلام .

وروى ابن اسحاق القصة التالية قال :

كان من نعمة الله على على بن أبى طالب ، ومما صنع الله له ،
وأراد به من الخير أن قريشا أصابهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب
ذا عيال كثير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه ، وكان
من أيسر بنى هاشم : يا عباس ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ،
وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا فلنخفف
حتم من عياله ، آخذ من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكلهما عنه .

فقال العباس : نعم .

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك
من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه .

فقال لهما أبو طالب :

إذا تركتما لى عقيلا فاصنعا ماشئنا
فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه إليه
وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه

فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تبارك
وتعالى نبيا ، فاتبعه على رضى الله عنه ، وآمن به وصادقه ، ولم يزل
جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه .

* * *

وذكر بعض أهل العلم :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج
إلى شعاب مكة ، وخرج معه على بن أبى طالب مستخفيا عن أبيه أبى
طالب ، ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلبان الصلوات فيها ،
فاذا أمسيارجعا ، فكثا كذلك ماشاء الله أن يمكثا . ثم إن أبا طالب عثر
عليهما يوما وهما يصلبان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
يا بن أخى ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟

فقال : أى عم ، هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رسله ،
ودين أبيينا إبراهيم ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم بعثنى الله به رسولا
إلى العباد ، وأنت أى عم ، أحق من بذلت له النصيحة ؟ ودعوته
إلى الهدى ، وأحق من أجابنى إليه وأعاننى عليه ، أو كما قال ،
فقال أبو طالب :

— ٨٠ —

أى ابن أخى ، إني لأستطيع أن أفارق دين آبائى وما كانوا عليه ،
ولكن والله لا يخلص إليك شىء تكرهه ما بقيت .
وذكروا أنه قال لعلى :

أى بنى ، ما هذا الدين الذى أنت عليه ؟
فقال : يا أبت ، آمنت بالله ورسول الله ، وصدقته بما جاء
به ، وصليت معه واتبعته فزعموا أنه قال له : أما إنه لم يدعك إلا إلى
خير فالزمه .

* * *

زيد بن حارثة

قال ابن إسحاق :
ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل ، مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد على بن أبى طالب :
وكان قد جىء به وهو غلام بين رقيق من الشام لحكيم بن حزام
ابن خويلد فدخلت عليه خديجة بنت خويلد ، وهى يومئذ عند رسول الله
الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : اختارى يا عممة أى هؤلاء الغلمان
شئت فهو لك . فاختارت زيدا فأخذته .

فراه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، فاستوهبه منها ،
فوهبته له ، فأعتقه رسول الله وتبناه ، وذلك قبل أن يوحى إليه .
وكان أبوه حارثة قد جزع جزءاً شديداً ، وبكى عليه حين
فقدته فقال :

أحى فبرجى أم أنى دونه الأجل	بكيت على زيد ولم أدر ما فعل
أغالك بعدى السهل أم غالك العجل	فوالله ما أدرى وإنى لسائل
فحسبى من الدنيا رجوعك لى بجل	وباليت شعرى هل لك الدهر أوبة
وتعرض ذكراه إذا غربها أفل	تذكرنيه الشمس عند طلوعها
فياطول ما حزنى عليه وما وجل	وإن هبت الأرواح هيجن ذكره
ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل	مأعمل نص العيس فى الأرض جاهدا
فكل امرئ فان وإن غره الأمل	حياتى أو تأتى على منيتى

* * *

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له
رسول الله : إن شئت فأقم عندى وإن شئت فانطلق مع أبيك .

فقال : بل أقيم عندك .

فلم يزل عند رسول الله حتى بعثه الله فصدقه وأسلم ، وصلى معه ،
فلما أنزل الله عز وجل « ادعوهم لآبائهم » قال :
أنا زيد بن حارثة .

* * *

أبو بكر الصديق

ثم أسلم بعد ذلك أبو بكر بن أبي قحافة ، واسمه عتيق وقيل أنه سمى بهذا الاسم لأن أمه لم يكن يعيش لها ولد ، فنذرت أن تتصدق به للكعبة .

فلما أسلم أبو بكر ، رضى الله عنه ، أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله ورسوله :

وكان أبو بكر رجلاً مألفاً (يألفه الناس) محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته ، وحسن مجالسته ، فيجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ، ممن يغشاه ، ويجلس إليه .

* * *

الذين أسلموا على يد أبي بكر

قال ابن اسحاق :

فأسلم بدعائه (دعاء أبي بكر) — فيما باغى — عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاء

— ٨٣ —

بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استجابوا له فأسلموا
وصلوا ، وكان رسول الله يقول — فيما بلغني — مَدَعُوتُ أَحَدًا إِلَى
الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ عِنْدَهُ كِبُوءَةٌ ، وَنَظَرٌ وَتَرَدُّدٌ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ
أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي قَحَافَةَ مَا عَايَاكُمْ عَنْهُ حِينَ ذَكَرْتَهُ لَهُ ، وَمَا تَرَدَّدَ فِيهِ •

* * *

ظهور الإسلام

قال ابن إسحاق :

ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى
قشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به ، ثم إن الله عز وجل أمر رسوله
صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادى الناس بأمره ،
وأن يدعو إليه : وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين — فيما
بلغنى — من مبعثه ، ثم قال الله تعالى له :
(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) .

وقال تعالى :

(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ إِنِّى أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ) .

* * *

الصلاة في شعاب مكة سرا :

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا
في الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سعد بن أبي وقاص في
نفر من أصحاب رسول الله في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم

نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم ، وعابوهم وعابوا عليهم
ما يصنعون حتى قاتلوهم .
فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى
بعير (عظم الساق) فشججه ، فكان أول دم هريق في الإسلام .

” “ “

فلما بادی رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام وصدع
به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه — فيما بلغنى —
حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا
على خلافه وعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم
قليل مستخفون ، وحذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه
أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، ومضى ورسول الله على أمر الله مظهرآ
لأمره لا يرده عنه شيء .

صناديد قريش عند أبي طالب :

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتنهم من
شيء مما أنكروه عليه من فراقهم وعيبه لآلهم ، ورأوا أن عمه
أبا طالب قد حذب عليه ، وقام دونه ، فلم يسلمه لهم ، مشى رجال
من أشراف قريش إلى أبي طالب ، عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ،
وأبوسفيان بن حرب ، والأسود بن عبد المطلب ، وأبو جهل —
واسمه عمرو — وكان يكنى أبا الحكم — والوليد بن المغيرة ، ونبيه
ومنبه ابنا الحجاج بن عامر والعاص بن وائل فقالوا : يا أبا طالب ،
إن ابن أخيك قد سب آلكتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا ،

فأما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه .
فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه .

* * *

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، يظهر دين الله ويدعوهم إليه ثم شرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا ، وأكثرت قریش ذكر رسول الله بينها فتدامروا (تغاضبوا) فيه ، وحض بعضهم بعضاً عليه ، ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا له :

يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنه عنا ، وإنا والله لانصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين .
ثم انصرفوا عنه .

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه .
حديث أبي طالب إلى رسول الله :
فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له :
يا بن أخي :

إن قومك قد جاعوني ، فقالوا لي كذا وكذا ، للذى قالوا له ،
فابق على وعلى نفسك ولا تحملي من الأمر مالا أطيق ، فظن رسول الله

أنه قد بدا لعمه أن يخلّذه ويسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .

قال ابن اسحاق فقال رسول الله .

يا عم : والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك ، ما تركته .
قال : ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال : اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لأأسلمك لشيء أبدا .

ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه ، وإجاءه لفرأقهم في ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له — فيما بلغني — يا أبا طالب ، هذا عمار بن الوليد أتهد فتى في قريش ، وأجمله ، فلك عقله ونصره ، واتخذ ولداً فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أعلامهم ، فنقتله فانما هو رجل برجل .
فقال : والله لبئس ما تسوموني . أتعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكُم ابني تقتلونه . هذا والله مالا يكون أبدا .

فقال المطعم بن عدى بن نوفل .

والله يا أبا طالب لقد أنصفتك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً .

فقال له أبوطالب :

والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم
هلى ، فاصنع ما بدا لك فحقب الأمر ، وحميت الحرب وتنابد القوم ،
وبادى بعضهم بعضا .

قريش وتعذيب المؤمنين

قال ابن إسحاق :

ثم إن قريشا تذا مروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة
على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله
رسوله منهم بعنه أبي طالب ، وقد قام أبوطالب ، حين رأى قريشا
يصنعون ما يصنعون ، في بنى هاشم وبنى المطلب ، فدعاهم إلى
ما هو عليه ، من منع رسول الله والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا
معه ، وأجابوه إلى مادعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله
الملعون .

فلما رأى أبو طالب من قومه ماسره في جردهم معه وحدهم عليه ،
جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ، ويذكر فضل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيهم ، ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم ، وليجذبوا معه على
أمره فقال :

ذا اجتمعت يوماً قريش للفخر فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أشراف عبد منافها فقي هاشم أشرافها وقديمها

وإن فخرت يوماً فان محمداً هو المصطفى من مرها وكرمها
 تداعت قريش غنها وسميها علينا فلم تظفرو طاشت حلومها
 وكنا قديماً لا نقر ظلامه إذا ماثنوا صعر الحدود نقيمها
 ونحى حماها كل يوم كرية ونضرب عن أحجارها من يرومها
 بنا انتعش العود الدواء وإنما بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

• • •

مؤامرة الوليد بن المغيرة

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا من
 فيهم ، وقد حضر الموسم وقال لهم : يامعشر قريش ، إنه قد حضر
 الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر
 صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً : ولا تختلفوا فيكذب بعضكم
 بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً ، قالوا : فأنت ياعبد شمس ، فقل
 وأقيم لنا رأياً نقول به .

قال : بل أنتم فقولوا .

قالوا : نقول كاهن .

قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فاهو بزمزمة
 الكاهن ولا سمجعه .

قالوا : فنقول مجنون .

قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا المجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته .

قالوا : فنقول شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر .

قالوا : فنقول ساحر .

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحراهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم .

قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إن لقوله لجلاوة وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته .

* * *

فتفرقوا عند ذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذرهم إياه ، وذكروا لهم أمره .
فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة قوله :

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا
وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا -

أى خصيما ،

وهو الذى أيضا قال تعالى فى شأنه .

(سَأَرْهِقُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) .

وأنزل الله تعالى فى النفر الذين كانوا يصنفون القول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ . فَوَرَّيْكَ لَنَسَاءً لَهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

فجعل أولئك النفر يقولون ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقوا من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ، فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها .

• • •

ثم حدث بعد ذلك أن أضراب القحط المدينة فذهب أهلها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا ذلك إليه ، فصعد رسول الله المنبر فاستسقى ، فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه وجعل أهل الضواحي يشكون منه الغرق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اللهم حوالينا ولا علينا .

فانجباب السحاب عن المدينة فصار حوالها كالإكليل . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره ؛
فقال له بعض أصحابه ؛ كأنك يا رسول الله أردت قوله :
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
قال : أجل .

* * *

وكان ممن يصدون عن رسول الله عداوة قومه حكيم بن أمية .
ومن قوله في صد قومه عن رسول الله .

هل قائل قولاً هو الحق قاعد عليه وهل غضبان للرشد سامع
وهل سيد ترجو العشرة نفعه لأقصى الموالى والأقارب جامع
تبرأت إلا وجهه من يملك الصبا وأهجر كم مادام مدل ونازع
وأسلم وجهي للأله ومنطقي ولو راعني من الصديق روائح

* * *

من ايذاء قريش للنبي صلى الله عليه وسلم

ثم قال ابن إسحاق

ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ؛ فأغروا برسول الله سفهاءهم
فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والمجنون ، ورسول الله

صلى الله عليه وسلم مظهر الأمر الله لا يستخفى به ، مباد لهم بما يكرهون
من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم .
قال ابن إسحاق :

فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة بن الزبير عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

قلت : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته ؟

قال : حضرتهم ، وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر ، فذكروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من
أمر هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا وشتم آبائنا ، وعاب ديننا ، وفرق
جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا :
فبيناهم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى
استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض
القول ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لما مر
بهم ثانية غمزوه بمثلها ، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه أيضا : فوقف ثم قال :
أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي بيده نفسي : لقد جئتكم
بالدبح .

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر
واقع ، حتى إن أشدهم فيه عداوة ليقول : انصرف يا أبا القاسم ،
فوالله ما كنت جهولا ؟

— ٩٤ —

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه . ؟

فبينما هم في ذلك الحديث طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به يقولون :

أنت الذى تقول كذا وكذا (لما كان يقول من عيب آلهم ودينهم) فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
نعم : أنا الذى أقول ذلك .

فقام رجل منهم وأخذ بجميع رداءه ، فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه . وهو يبكى ويقول :

أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله !
ثم انصرفوا عنه .

• • •

وقال ابن هشام رواية عن بعض أهل العلم :

إن أشد ما لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قریش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لآخر ولا عهد ! فرجع

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فتدثر من شدة ما أصابه ،
فأنزل الله تعالى عليه .

(يا أيها المدثر قُمْ فَانذِرْ) .

* * *

مع حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : حدثني رجل من أسلم ، كان واعية :

ان أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه
وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ،
فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم انصرف عنه . فعمد إلى
ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم . فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب
رضي الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له . وكان
صاحب قنص يرميه ويخرج له وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله
حتى يطوف بالكعبة . وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف
وسلم وتحدث معهم . وكان أعز قتي في قريش وأشد شكيمة .
فلما مر بالطريق قالت له جارية .

يا أبا عماره : لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم
ابن هشام ؟ وجده هاهنا جالسا فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ،
ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمد .

* * *

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته . فخرج يسعى ولم يقف على أحد معدا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به .

فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم . فأقبل نحوه . حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشججه شجة منكرة ثم قال :

أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فرد ذلك على أن استطعت .

فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل .

فقال أبو جهل .

دعوا أبا عمارة . فاني والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا .

وتم حمزة رضى الله عنه إسلامه : وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

بعد اسلام حمزة :

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد عز وامتنع : وأن حمزة سيمنعه : فكفوا عن بعض ما كانوا

ينالون منه .

* * *

قصة عتبة بن ربيعة

قال ابن إسحاق :

وحدثني يزيد عن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال :
حدثت أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيدا قال يوما وهو جالس
في نادي قريش ؛ ورسول الله في المسجد وحده :
يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا
لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا ؟
(وذلك بعد أن أسلم حمزة ورأى القوم أصحاب رسول الله
يزيدون ويكثرون)
فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه .

* * *

فقام إليه عتبة حتى جالس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
يا بن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة ،
والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به
جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ؛ وكفرت
به من مضى من آباءهم ؛ فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك
تقبل منها بعضها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
قل يا أبا الوليد ، اسمع .

قال : يا ابن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رثيا (جنا) تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه .

» « «

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه
قال : أفد فرغت يا أبا الوليد ؟

قال : نعم .

قال : فاسمع مني ؟

قال : أفعل .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمَّ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا
فَاعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ
إِلَيْهِ » .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها عليه ، فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ،

ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة ، فسجد ثم قال
قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

* * *

فقام عتبة إلى أصحابه :

فقال بعضهم لبعض : نخلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه
الذي ذهب به :

فلما جلس إليهم قالوا ، ما وراءك يا أبا الوليد ؟
قال : ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله
ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني
واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ،
فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فان نصبه العرب
فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فلكم ، وعزه عزكم ،
وكنتم أسعد الناس به .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بأمانه .

قال هذا رأي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

* * *

اجتماع عند الكعبة

قال ابن إسحاق :

ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتقتل من استطاعت فتنته من المسلمين ، ثم أن أشراف قريش من كل قبيلة ، كما حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير عن عكرمة مولى ابن عباس عن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما قال :

اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وغيرهم اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصمّوه حتى تعذروا فيه ؟

فبعثوا إليه : أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك فأتهم فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ، حتى جلس إليهم ؟

فقالوا له : يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنكلّمك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفّهت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك ،

(ثم عرضوا عليه ما يشاء من مال وسؤدد وملك إن كان به إلى ذلك رغبة) .

— ١٠١ —

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بي ما تقولون ،
ما جئت بما جئتم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ، ولا الملك
عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا ، وأنزل علي كتابا وأمرني
أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ،
فان تقبلوا مني ما جئكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه
علي أصبر لأمر الله : حتى يحكم الله بيني وبينكم — أو كما قال صلى الله
عليه وسلم —

* * *

قالوا :

يا محمد فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد
علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ، ولا أقل ماء ، ولا أشد
عيشا منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه
الجيال التي ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارا
كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضي من آبائنا ، وليكن فيمن
يبعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم عما
تقول : أحتق هو أم باطل فإن صدقوك وصنعت لنا ما سألناك صدقناك ،
وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول .

— ١٠٢ —

فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه :

ما بهذا بعث إليكم ، إنما جئناكم من الله بما بعثني به ، وقد بلغتكم
ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ؛
وإن تردوه على أن أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم
قالوا :

فإن لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك ؛ سل ربك أن يبعث معك ملكا
يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ؛ وسله فليجعل لك جنانا وقصوراً
وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم
بالأسواق كما تقوم ، وتلتبس المعاش كما تلتبسه ؛ حتى نعرف
فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم .

* * *

فقال لهم رسول الله :

ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ؛ وما بعث إليكم
بهذا ؛ ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً — أو كما قال — فإن تقبلوا
ما جئناكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ؛ وإن تردوه على أصبر
لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ؟

* * *

قالوا : فاسقط علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ؛
فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ؟

— ١٠٣ —

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ؛ إن شاء أن يفعل به
بكم فعل .

قالوا : يا محمد ، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما
سألتك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فميتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا
به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به . إنه
قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل بالهمة يقال له : الرحمن ،
وإننا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإننا والله
لا نتركك وما بلغت منا حتى تهلكك أو تهلكنا .

* * *

وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله . وقال قائلهم :
لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا .

فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام عنهم ؛ وقام
معه عبد الله بن أبي أمية — وهو بن عمته — فهو لعاتكة بنت عبد المطلب
فقال له : يا محمد ؛ عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ،
ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول
ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تجعل لهم بعض ما تخوفهم
به من العذاب فلم تفعل — أو كما قال له — فوالله لأؤمن بك أبدا

حتى نتخذ إلى السماء سلما ؛ ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ،
ثم تأتي معك بأربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وإيم الله ،
لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك ؛

ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزيننا أسفا لما فاتته مما كان
يطمع به من قومه حين دعوه : ولما رأى من مبعدهم إياه .

* * *

دور أبي جهل في المؤامرة :

فلما قام عنهم رسول الله ، قال أبو جهل : يا معشر قريش ،
إن محمدا قد أبى إلا ماترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ؛ وتسفيه
أحلامنا ، وشتم آهتنا ، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق
حمله — أو كما قال — فاذا سجد في صلاته فضخت به رأسه ،
فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ؛ فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف
ما بدا لهم : قالوا والله لا نسلسك لشيء أبدا ؛ فامض لما تريد .

* * *

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصفت ؛ ثم جلس لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ينتظره ؛ وغدا رسول الله كما كان يخلو ؛ وكان

الرسول يصلي بمكة وقبلته جهة الشام ؛ فكان إذا صلى صلى بين الركن
اليمنى والحجر الأسود ؛ وجعل الكعبة بينه وبين الشام ؛ فقام رسول الله
يصلي . وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل
فأعل ؛ فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل
الحجر ؛ ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا
قد يبست يده على حجره ؛ حتى قذف الحجر من يده ؛ وقامت إليه
رجال قريش فقالوا له :

مالك يا أبا الحكم ؟

قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ؛ فلما دنرت منه
عرض لي دونه فحل من الإبل ؛ لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل
قصرتة (عنقه) ولا أنيابه لفحل قط ؛ فهم بي أن يأكلني .

* * *

قال ابن إسحاق .

فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ذلك جبريل
عليه السلام ؛ لودنا لأخذه .

* * *

فلما قال لهم ذلك أبو جهل . قام النضر بن الحارث فقال :

يا معشر قريش : إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ؛
 قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم خلقا ؛ وأصدقكم حديثا ؛
 وأعظمكم أمانة . حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب . وجاءكم بما جاءكم
 به . قلتم ساحر ؛ لا والله ما هو بساحر . لقد رأينا السحرة ونفثهم
 وعقدهم ؛ وقلتم كاهن . لا والله ما هو بكاهن . لقد رأينا الكهنة
 وتخالجهم . وسمعنا سجعهم . وقلتم شاعر . لا والله ما هو بشاعر .
 قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه . وقلتم مجنون .
 لا والله ما هو بمجنون . لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه . ولا وسوسته .
 ولا تخليطه . يا معشر قريش . فانظروا في شأنكم . فإنه والله قد نزل
 بكم أمر عظيم .

* * *

شيطان من شياطين قريش :

هو النضر بن الحارث . وكان قد قدم الحيرة ؛ وتعلم بها أحاديث
 ملوك الفرس وأحاديث رستم واسبنديار . فكان إذا جلس رسول الله
 مجلسا فذكر فيه يالله . وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من
 نقمة الله . خلفه النضر بن الحارث في مجلسه إذا قام ؛ فيقول :

أنا والله يا معشر قريش . أحسن منه حديثا . فهل إلى : فأنا أحذركم
 أحسن من حديثه . ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار
 ثم يقول :

— ١٠٧ —

بماذا محمد أحسن حديثاً مني ؟

وروى ابن هشام انه بلغه أن النضر بن الحارث كان يقول :
ما أنزل مثل ما أنزل الله .

وكان ابن عباس يقول عن النضر هذا . انه نزل فيه ثمان آيات
من القرآن : قول الله عز وجل .

(إِذَا تَبَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) .

وكل ما ذكر من الأساطير في القرآن .

اسئلة أخبار يهود :

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه ؟ وبعثوا معه عقبة
ابن أبي معيط إلى أخبار يهود بالمدينة . وقالوا لها : سلامهم عن محمد
وصفا لهم صفته : وأخبراهم بقوله : فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم
علم ليس عندنا من علم الأنبياء

فخرجوا حتى قدام المدينة : فسألا أخبار يهود عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم . ووصفا لهم أمره : وأخبراهم ببعض قوله . وقالوا
لهم . إنكم أهل التوراة . وغد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .

* * *

فقال لها أخبار يهود .

— ١٠٨ —

سلوه عن ثلاث نأمركم بهن . فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل .
وإن لم يفعل فالرجل متقول . فروا فيه رأيكم .

١ — سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ؟
فانه قد كان لهم حديث عجيب ؟

٢ — وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها .
ما كان نبؤه ؟

٣ — وسلوه عن الروح ما هي ؟

. فان أخبركم بذلك فاتبعوه . فانه نبي . وإن لم يفعل . فهو رجل
متقول . فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

* * *

فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط حتى قدما مكة
على قريش . فقالا : يا معشر قريش . قد جئناكم بفصل ما بينكم
وبين محمد . قد أخبرنا أخبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها .
فان أخبركم عنها فهو نبي . وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه
رأيكم .

* * *

فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد . أخبرنا
عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب . وعن

— ١٠٩ —

وجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها . وأخبرنا عن الروح ما هي ؟

فقال لهم رسول الله . أخبركم بما سألتكم عنه غدا .

فانصرفوا عنه . فكث رسول الله - فيما يذكرون - خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا : ولا يأتيه جبريل . حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة . قد أصبحنا منها لا نخبرنا بشيء مما سألناه عنه . وحتى أحزن رسول الله مكث الوحي عنه . وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة . ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معانيته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الله : الفتية . والرجل الطواف . والروح .

* * *

قال ابن إسحاق .

فذكر لي أن رسول الله قال لجبريل حين جاءه . لقد احتسبت عني يا جبريل حتى سميت ظنا .

فقال له جبريل :

— ١١٠ —

(وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا
وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيمًا) .

فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله . لما أنكروه
عليه من ذلك فقال :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ) .

يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم . إنك رسول منى : أى تحقيق لما
سألوك عنه من نبوتك .

(وَلَكُمْ يَجْعَلُ لَهُ عِوَجًا قِيَمًا) .

أى معتدلاً لا اختلاف فيه .

(لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَّدُنْهُ) .

أى عاجل عقوبته فى الدنيا .

(وَعَذَابًا أَلِيمًا فِي الْآخِرَةِ) .

أى من عند ربك الذى بعثك رسولا .

(وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
حَسَنًا مَا كَثِيرِينَ فِيهِ أُبَدًا) .
(أَى دار الخلد) :

(لَا يَمُوتُونَ فِيهَا) .
الذين صدقوك بما جئت به مما كذبتك به غيرهم وعملوا بما أمرتهم
به من الأعمال .

(وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) .

يعنى قريشاً فى قولهم : إنا نعبد الملائكة وهى بنات الله .

(مَا لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَلَا لِآبَائِهِمْ) .

الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم .

(كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) .

أى لقولهم : إن الملائكة بنات الله .

(إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ) .

يا محمد

(عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) .

أى لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى لا تفعل

(وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا ضَعِيدًا جُرُزًا) .

أى الأرض ، وإن ما عليها لقان وزائل ، وإن المرجع إلى فأجزى
كلا بعمله ؛ فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها .

* * *

وبعد ذلك يأتي استقبال السؤال الأول الذى سألوه عنه من شأن
الفتية فقال تعالى :

(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)

أى قد كان من آياتى فيما وضعت على العباد من حجبى ما هو
أعجب من ذلك .

ثم قال تعالى :

(إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
وَهِيْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ
هَدَدًا . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَى الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا) .

ثم قال تعالى :

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ) .

أى بصدقه الخبر عنهم =

(إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا) .

أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لكم به علم : والشطط هو الغلو ومجاوزة الحق .

(هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) .

أى بحجة بالغة .

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَإِذْ اجْتَرَأْتُمْوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَاوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِزْفَقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوةٍ مِنْهُ) .

وتزاور أى تميل وهو من الزور ، وتقرضهم ذات الشمال ، تجاوزهم وتركهم عن شمالها .

وقال تعالى :

(ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) .

أى فى الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ،
من أمر هؤلاء بمسألتك عنهم فى صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم .

(مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا .
وَتَحْسَبُهُمْ آيَةً أَنْ يَمْلِكُوا فِيهِنَّ وَلِلَّهِ الْيَمِينُ وَذَاتَ الشَّمَالِ
وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَاهُ الْوَسِيدُ) .

والوصيد يعنى الباب .

(لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلَمْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا) .
إلى قوله .

(قَالِ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ) .

أهل السلطان والملك منهم .

(لَنَنْخِذَنَّهُمْ عَلَىٰ يَدَيْهِمْ مَسْجِدًا . سَيَقُولُونَ) .

يعنى أحبار يهود الذين أمرهم بالمسألة عنهم .

(ثَلَاثَةَ رِابِعِهِمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةَ سَادِسِهِمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا

بِالْغَيْبِ) .

أى لا علم لهم .

(وَيَقُولُونَ سَبْعَةُ وَفَاتِمُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِبَادَتِهِمْ
مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحَارِفْ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءَ ظَاهِرٍ) .
أى لا تكابرهم .

(وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) .

فإنهم لا علم لهم بهم .

(وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
وَإِذْكَرْتَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا
رَشَدًا) .

أى ولا تقولن لشيء سألوك عنه كما قلت فى هذا . إني أخبركم
غدا . واستثنى مشيئة الله واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين
ربى لخير مما سألتونى عنه رشدا ، فإنك لا تدري ما أنا صانع فى ذلك .

(وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) .

أى سيقولون ذلك .

(قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ
بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) .

أى لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه .

قصة الرجل الطواف

وقال تعالى فيما سألوها النبي صلى الله عليه وسلم عن أمر الرجل الطواف .

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا .
إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَاتَّبَعِ سَبَبًا) .
حتى انتهى إلى آخر قصة خبره .

وكان من خبر ذي القرنين أنه أوفى عالم يؤت أحد غيره ، فلدت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يظأ أرضا إلا سلط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخلق .

* * *

قال ابن إسحاق : فحدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه .

أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح .

قال ابن هشام : واسمه الإسكندر : وهو الذي بنى الإسكندرية فسميت إليه .

* * *

من أمر الروح

وقال تعالى فيما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم من أمر الروح :

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) .

وعن ابن عباس أنه قال :

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قالت أخبار يهود : يا محمد ، أرايت قولك (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) إيانا تريد أم قومك؟ قال كلاً ؛ قالوا فلنك تتلو فيما جاءك :

« إِنَّا قَدْ أُتِينَا التَّوْرَةَ فِيهَا بَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ » .

فقال رسول الله : إنها في علم الله قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه ؟

قال ابن عباس : فأنزل الله في ذلك قوله تعالى :

(وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ يَمِينِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل .

طلب تسيير الجبال

وأنزل الله تعالى فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال ؛ وتقطيع الأرض وبعث من مضى من آباؤهم من الموتى .

(وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) .

أى لا أصنع من ذلك إلا ما شئت .

* * *

طلب الجنات والقصور

وأنزل عليهم فى قولهم : أن يجعل لنفسه الجنانا وقصورا وكنوزا ويبعث معه ملكا يصدق به بما يقول ، ويرد عنه ،

(وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا قَبَارِكُ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ) .

أى خيراً من أن تمشى فى الأسواق وتلتبس المعاش .

(جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا) .

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ .

(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) .

أى جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفوا لفعلت .

* * *

طلب تفجير الينابيع

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ فِيمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمِيَّةٍ .

(وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا .
أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا .
أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالَهُ وَالْمَلَائِكَةُ
فَيَقِيلُوا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَكِنْ
نُؤْمِنُ لِرُفُؤِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي
هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا)

والينبوع ما نبع من الماء من الأرض . وغيرها ، والكسف .
القطع من العذاب والتعجيل يكون مقابلة أو معاينة وهو كقوله تعالى
(أو يأتيهم العذاب قبلاً) أى عياناً .

* * *

مازعموه عن رجل باليمامة

وأنزل تعالى على نبيه في قولهم : إنا قد بلغنا أنك إنما يعلمك رجل
باليمامة يقال له الرحمن ، ولن نؤمن به أبداً .

(كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُو
عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ) .

* * *

في شأن أبي جهل

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام . وما هم به .

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى . أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى
الْهَدَى أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى . أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ
يَرَى . كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تَطِيعُہُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) .

* * *

— ١٢١ —

قال ابن اسحاق :

وأنزل الله تعالى فيما عرضوا عليه من أموالم :

(قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) .

* * *

فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق . وعرفوا صدقه فيما حدث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوا عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين أتباعه وتصديقه ، فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ، ولجوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم : لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ، أى اجعلوه لغواً وباطلاً ، واتخذوه هزواً لعلكم تغلبونه بذلك ، فانكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوماً غلبكم .

* * *

فقال أبو جهل يوماً وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق : يامعشر قريش ، يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عدداً وكثرة ، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم ؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ :

(وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) .

إلى آخر القصة :

فلما قال ذلك بعضهم لبعض ، جعلوا إذا جهر رسول الله بالقرآن وهو يصلي يتفرقون عنه ويأبون أن يستمعوا ، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله بعض ما يتلو من القرآن وهو ينسلي ، استرق السمع دونهم خوفاً منهم فان رأى أنهم عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذى قومه فترك السماع .

وإن خفض رسول الله صوته ، فظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم ، أصاخ له يستمع منه .

* * *

قال ابن اسحاق :

ومن أجل هؤلاء نفر نزل قوله تعالى :

وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا

* * *

عبد الله بن مسعود

أول قارئ للقرآن جهراً :

قال ابن اسحاق :

كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، فقد اجتمع يوماً أصحاب رسول الله فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجرها لها به قط ، فمن رجل يسمعهموه ؟

فقال عبد الله بن مسعود : أنا .

قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه .

قال : دعوني فإن الله سينمقني .

فلما كان الغد أتى عبد الله بن مسعود المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها ، ثم قام وقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) رافعاً بها صوته (الرحمن علم القرآن) ثم استمر يقرأ .

فتأملوه فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ ثم قالوا : إنه لينلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ من سورة الرحمن ما شاء أن يبلغ .

ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه .

فقال له أصحابه ، هذا الذي خشنا عليك .

فقال : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم
لأغادينهم بمثلها غدا .
فقالوا : لا ، حسبك ، قد أسمعهم ما يكرهون .

* * *

قریش تحارب القرآن

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ،
أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق
خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله وهو يصلي من الليل في بيته ،
فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ،
فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ،
فتلاؤموا وقال بعضهم لبعض ، لا تعودوا ، فلو رأيكم بعض سفهائكم
لأوقعتم في نفسه شيئاً . ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ،
فباتوا يستمعون ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ،
فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا .
حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا
يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال
بعضهم لبعض :

لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود .

فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا .

* * *

فلما أصبح الأخنس بن هريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى
أبا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت عن
محمد ؟

فقال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف
ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ، ولا ما يراد بها .

قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به كذلك .

ثم خرج الأخنس من عنده ، حتى أتى أبا جهل ، فدخل بيته
فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت عن محمد ؟

فقال : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف
وأطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ؛ حتى إذا
تخاذينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان ؛ قالوا منا نبي يأتيه الوحي
من السماء ؛ ففني ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدق به .

قال ابن اسحاق :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا عليهم (أى قوم قریش)
القرآن ؛ ودعاهم إلى الله قالوا يهزءون به :

قلوبنا فى أكنة مما تدعوننا إليه : لانفقه ما تقول : وفى آذاننا وقرا .
 لانسع ما تقول . ومن بيننا وبينك حجاب . قد حال بيننا وبينك .
 فاعمل بما أنت عليه . إننا عاملون بما نحن عليه . فأنزل الله تعالى فى
 ذلك قوله :

(وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ
 نُفُورًا) .

أى كيف يفهمون توحيد ربك إن كنت جعلت على قلوبهم
 أكنة وفى آذانهم وقرا وبينك وبينهم حجابا بزعمهم .

(نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ
 نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) .
 أى ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثك به إليهم .

(أَنْظَرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا)
 أى أخطأوا المثل الذى ضربوه لك . فلا يصيبون به هدى
 ولا يعنبد فيه قول .

(وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) .
 أى جئت تخبرنا أنا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما ورغاتا .
 وذلك مالا يكون

(قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ
فَتَسْمِعُوْنَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) .

أى الذى خلقكم مما تعرفون ، فليس خلقكم من تراب بأعز
من ذلك عابه .

وفى تفسير قوله تعالى أو خاتماً مما يكبر فى صدوركم قال ابن
عباس إنه الموت .

* - *

المسلمون بين الفتنة والعداوة

قال ابن اسحاق :

ثم لانهم غدوا على من أسلم ، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ؛ فجعلوا يحبسونهم
ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ،
من استضعفوا منهم ، يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة
البلاء الذى يصيبه ، ومنهم من يتجلد ؛ ويعصمه الله منهم .

* * *

تعذيب بلال بن رباح

وكان بلال ، مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، صادق الإسلام
وهو بلال بن رباح واسم أمه حنمة ، وكان طاهر القلب ،

وكان أمية بن خلف بن وهب يخرجهم إذا حميت الظهيرة ،
 فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة . ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع
 على صدره ، ثم يقول له :
 لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد الآلات والعزى .
 فيقول بلال وهو في ذلك البلاء :
 أحد . . أحد .

* * *

وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك ، وهو يقول :
 أحد . . أحد
 فيقول ورقة : أحد أحد والله يا بلال .
 ثم يقبل على أمية بن خلف ، ومن يصنع ذلك به من بني جمح
 فيقول :
 أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذن من قبره مزارا . .
 أبو بكر وبلال :

حتى مر أبو بكر الصديق (بن أبي قحافة) رضى الله عنه يوماً ،
 وهم يصنعون ذلك ببلال ، وكانت دار أبي بكر في بني جمح ،
 فقال لأمية بن خلف :

ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ حتى متى !
 قال : أنت الذى أفسدته فانقذه مما ترى .

فقال أبو بكر : عندى غلام أسود على دينك ، وهو أجلد منه وأقوى أعطيكه به .

قال : قد قبلت .

فقال أبو بكر : هو لك . فأعطاه غلامه ثم أخذ بلالا وأعتقه .

* * *

من أعتقهم أبو بكر :

ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب ، بلال سابعهم .

عامر بن فهيرة ، وقد شهيد بدرأً وأحداً ، وقتل يوم بدر معونة شهيدا ، وأم عيسى ، وزنيره ، وأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قريش ، ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت : كذبوا وبیت الله ، ماتضر اللات والعزى ، وما تنفعان ، فرد الله بصرها ، وأعتق التهذية وبناتها ، وكانت لامرأة من بنى عبد الدار ، ففرجهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها ، وهى تقول : والله لأعتقكما أبداً . فقال أبو بكر رضى الله عنه : تخللى من يمينك يا أم فلان ، فقالت : تخلل أنت ، أفسدتهم فأعتقتهما ، قال : فبكم هما ؟ قالت بكذا وكذا . قال : قد أخذتهما ، وهما حرتان ، أرجعا إليهما طحينها قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليهما ؟

قال : وذلك إن شئنا .

* * *

— ١٣. —

ومر أبو بكر بنجارية بنى مؤمل ، حتى من بنى على بن كعب ؛
وكانت مسلمة ؛ وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام ؛ وهو
يومئذ مشرك يضربها ، حتى إذا مل قال : إني أعتذر إليك : إني لم
أتركك إلا ملالة : فتقول : كذلك فعل الله بك .

فابتاعها أبو بكر فاعتقها .

* * *

قال ابن إسحاق :

وحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن بعض أهله قال :
قال أبو قحافة لأبي بكر : يا بني ، إني أراك تعتق رقاباً ضعافاً ،
فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجلاً جليداً يمنعوك ويقومون
دونك ؟

فقال أبو بكر : يا أبت إني إنما أريد ما أراد الله عز وجل .
فيل فنزلت فيه هذه الآيات :

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) .

إلى قوله :

(وَمَا لَاحِدٌ عَنْدهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى)
وكسوف يَرْضَى .

* * *

تعذيب عمار بن ياسر

قال ابن اسحاق :

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه ، وكانوا أهل بيت إسلام إذا حُميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول - فيما بلغني - : صبراً آل ياسر موعدكم الجنة . فأما أمه فقتلوا ، وهي تأتي إلا الإسلام .

اسلوب ابي جهل في التعذيب :

وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري رجال قريش بالمسلمين ، فإذا سمع بالرجل قد أسلم ، وله شرف ومنعة ، أنه وأخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهم حلمك ، ولنغلي رأيك ، ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجراً ، قال : والله لنكسدن تجارتك ، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به .

* * *

عن سعيد بن جبير أنه قال : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذبون به حتى ترك دينهم ؟

قال : نعم والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجمعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به ، حتى

— ١٣٢ —

يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له : اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم ،

وحتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون له : أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم . افتداء منهم مما يبلغون من جهده .

* * *

الهجرة الأولى الى الحبشة

أول هجرة في الاسلام :

قال ابن إسحاق :

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم الى الحبشة فان بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفراراً الى الله بدينهم .

فكانت أول هجرة في الإسلام :

وكان جميع من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ،
سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ، ثلاثة
وثمانين رجلاً .

ويشك إن كان عمار بن ياسر فيهم .

* * *

وكان مما قيل من الشعر في الحبشة ، أن عبد الله بن الحارث بن
قيس ، حين آمنوا بأرض الحبشة ، وحمدوا جوار النجاشي ،
وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً ، وقد أحسن النجاشي جوارهم
حين نزلوا به قال :

يا راكبا بلغن عني منغللة من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهد ببطن مكة مقهور ومفتون
أنا وجدنا بلاد الله واسعة تنجى من الذل والخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة ونخرى فى الممات وعيب غير مأمون
إننا تبعنا رسول الله واطرحوا قول النبي وعالوا فى الموازين
فاجعل عذابك بالقوم الذين بغوا . وعائذا بك أن يعلوا فيطغفوني

* * *

وقال كثير من الشعراء الآخرين شعراً كثيراً فى هذا المعنى :

* * *

قريش تطلب المهاجرين

قال ابن إسحاق :

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آمنوا واحتملوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش إلى النجاشي فيردهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وآمنوا فيها .

فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل وجمعوا لهم هدايا للنجاشي ولبطارقتهم ثم بعثوهم إليه .

“ ” “

ولما علم أبو طالب بأمر هذه البعثة التي تريد شراً بالمهاجرين أرسل إلى النجاشي يطلب إليه الدفاع عن المهاجرين وجاء في كتاب أبي طالب إلى النجاشي قوله يحضه على حسن جوار من هاجر إليه .

والأليت شعري كيف في النأي جعفر	وعمرو وأعداء العدو الأقارب
وهل نالت أفعال النجاشي جعفرأ	وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلم ، أبيت الا عن ، أنك ماجد	كريم فلا يشقى لديك الخائب
تعلم بأن الله زادك بسطة	وأسباب خير كلها بك لأزب
وأنتك فيض ذو سبال غزيرة	ينال الأعادي نفعها والأقارب

• • •

رواية احدى زوجات النبی :

روى عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قالت :

لما نزلنا من أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي : أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً اتهموا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدتين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الحلود ، فجمعوا له منها كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقه بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص وأمرؤهما بأمرهم وقالوا لها : ادفعي إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلم النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم ، فخرجا حتى قدما على النجاشي ، ونحن عنده بخير دار ، عند خير جار ، فلم يبق من بطارقه بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلم النجاشي ، وقالوا لكل بطريق منهم ، إنه قد ضرت إلى بلد الملك منا شلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم ، فاذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم

إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ،
فقالوا لها ... نعم .

ثم أتتهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ؛ ثم كلماه
فقالا له :

أيها الملك : إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا
دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه
نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم
وعشائرتهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم
وعاتبوهم فيه ...

قالت أم سلمة :

ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص
مبعوثي قريش من أن يسمع النجاشي كلام المهاجرين :

فقال بطارقه :

صديقاً أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم
فأسلمهم إليهم فليرداهم إلى بلادهم وقومهم ، فغضب النجاشي ،
ثم قال : لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادى ،
واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في
أمرهم ، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما وردتهم إلى قومهم
وإن كانوا غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني ،

حدث النجاشي الى المهاجرين :

قالت أم سلمة :

ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا . ثم قال بعضهم لبعض . ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟

قالوا : نقول والله ما علمنا : وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كأننا في ذلك ما هو كائن .

فلما جاءوا . وقد دعا النجاشي أسأفته . فنشروا مصاحفهم حولهم سألهم فقال لهم :

ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ ...

فتولى الجواب جعفر بن أبي طالب رضى الله عنهما فقال :

أيها الملك : كنا قوماً أهل جاهلية . نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأثي الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذاك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق

الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن
اخترام والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم
وقدف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا
بالصلاة والزكاة والصيام .

وذهب يعدد عليه أمور الإسلام إلى أن قال :

فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ؛ فعبدنا الله
وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا
فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان
من عبادة الله تعالى وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما
قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ؛ وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى
بلادك واخترناك عن سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم
عندك أيها الملك .

• • •

فقال له النجاشي :

هل معك مما جاء به من الله من شيء ؟

فقال له جعفر : نعم .

فقال النجاشي : فافراه على .

قالت أم سلمة فقراً عليه صديراً من « كهيص » فيكي النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أسافته حتى أخضلوا معاصفهم حين سمعوا ما تلا عليهم .

ثم قال لهم النجاشي :

إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فوالله لا أسألهم إلحاً ولا يكادون .

* * *

مكيدة مبعوثي قريش :

قالت أم سلمة في رواية ابن إسحاق :

فلما خرجا من عند النجاشي ، قال عمرو بن العاص والله لآتينه غدا فأحدثه عنهم بما استأصل به خضراءهم . فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتبعي الرجلين لا تفعل فان لهم أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا .

قال عمرو : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد .

ثم غدا على النجاشي من الغد فقال له :

أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون فيه .

فأرسل إليهم ليسألهم عن ذلك .

فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه ؟

فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فضرب النجاشي بيده الأرض فأخذ منها عودا ثم قال :

والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود (أى أن ما قلت عن عيسى ابن مريم لا يختلف عن الحق بمقدار هذا العود) .

ثم قال من سبكم غرم : ما أحب أن لى كنزاً من ذهب وأنى آذيت رجلاً منكم : ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها : فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فأخذ الرشوة فيه . وما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه .

نهاية كيد الكائدين :

فخرجنا من عنده مقبوضين مردودا عليهما ما جاءا به .

قالت أم سلمة رضى الله عنها :

وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار : فوالله إنا على ذلك إذ نزل رجل من الحبشة يئازعه فى ملكه فوالله ما علمنا خزاناً قط كان أشد

علينا من حزن حزنائه عند ذلك . تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي . فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه . وسار النجاشي إلى عدوه الذى ينازعه الملك ليحاربه فقال المهاجرون : من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر . فقال الزبير بن العوام : أنا .

قالوا : أنت ؟ وكان من أحدث القوم سنا . فنفعخوا له قربة فجعلها فى صدره . ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضر قتالهم . قالت أم سلمة :

فوالله إنا لعل ذلك متوقعون لما هو كائن : إذ طلع الزبير وهو يسعى . فلمع بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا فقد ظفر النجاشي . وأهلك الله عدوه : ومكن له فى بلاده .

قالت أم سلمة :

فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها : ورجع النجاشي : وقد أهلك الله عدوه : ومكن له فى بلاده : واستوسق عليه أمر الحبشة : فكنا عنده فى خير منزل . حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

فهرس الجزء الأول من كتاب في ظلال السيرة

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة
٥	فصة زمزم
١٠	قصة القيل
١٧	بعد حادثة القيل
١٨	قصة بعض أصنام العرب
٢٠	الطواقيث
٢٢	من تقاليد الجاهلية
٢٣	اولاد عبد المطلب بن هاشم
٢٩	انوار النبوة
٢١	اولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٤	قصة الملكين وشق البطن
٣٦	حديث النبي عن هذه القصة
٣٨	النبي في طفولته
٣٩	وفاة جد النبي صلى الله عليه وسلم
٤١	النبي والراهب بحيرى
٤٧	في حروب الفجار
٤٨	زواج النبي صلى الله عليه وسلم
٥١	حديث خديجة عن النبي مع قومها
٥٦	الاحاديث التى سبقت البعث
٥٧	اختلاف قريش في بناء الكعبة وحكم النبي
٥٨	رمى الجن بالنجوم وفرع العرب
٦٢	اليهود وبعث النبي صلى الله عليه وسلم
٦٤	بحث قريش في الاديان
٦٦	ذكر النبي في الانجيل
٦٧	بعث النبي صلى الله عليه وسلم
٧٤	صلاة السيدة خديجة

الصفحة	الموضوع
٧٦	كيف فرضت الصلاة
٧٧	تحديد أوقات الصلاة
٧٨	على بن أبى طالب
٨١	زيد بن حارثة
٨٢	أبو بكر الصديق
٨٤	ظهور الاسلام
٨٨	قريش وتعذيب المؤمنين
٨٩	مؤامرة الوليد بن المغيرة
٩٥	مع حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم
٩٧	قصة عتبة بن ربيعة
١٠٠	اجتماع عند الكعبة
١٠١	من شياطين قريش
١٠٢	أسئلة أجاب يهود
١١٦	قصة الرجل الطواف (الاسكندر)
١١٧	من أمر الروح
١١٨	طلب تسخير الجبال ، والجنان ، والقصور
١١٩	طلب تفجير ينباع
١٢٠	في شأن أبى جهل
١٢٢	عبد الله بن مسعود
١٢٤	قريش تحارب القرآن
١٢٧	المسلمون بين الفتنة والعدوان
١٣١	تعذيب عمار بن ياسر
	الهجرة الأولى الى الجنة
	قريش تطلب المهاجرين
	مكيدة مبعوثى قريش عند اسب

الشعب

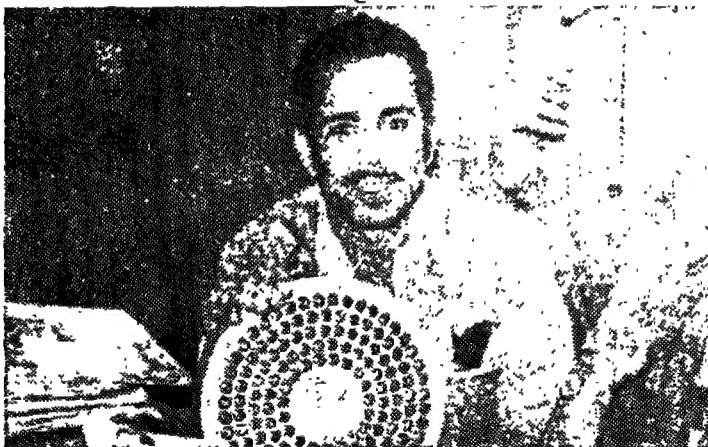
٩٥ شارع حيدر الأبيد في القاهرة
١٨٨١

رقم الايداع ٢٦١٦/١٩٧٥

أورقة السندية لخرائط المعادن

لصاحبها

سمير محمود محمد الديوب



• بالرغم من عدم توفر الآلات الدقيقة والحديثة .. وبالرغم من عدم توفر قطع الفيار .. استطاع الشاب المصري «سمير محمد أيوب» أن يصنع ماكينة للمكرونة .. وأن يقوم بابتكار «اسطميات» لها يشكّلها على أحدث طراز مما أثار إعجاب جمهور العملاء وتقديرهم وإقبالهم .. وهكذا استطاع العامل المصري أن يقدم دليلاً ممتازاً على كفاءته وعبقريته في مجال عمله .. والدليل نابض بالحركة النشيطة .. في مجال صنع المكرونة .. في شارع بيبرس .. حيث يتم إنتاج أحدث ماكينات المكرونة ..

شارع بيبرس متفرع من شارع صلاح الدين: مباني ٣٤ الكرنج

♦ نافذة على الوطن العربي

قطر على طريق المستقبل الصناعى والاقتصادى



●● تشهد قطر اليوم نهضة
شاملة .. ثقافية .. وصناعية
.. وعمرانية .. ومن أهم
مظاهر التقدم الحضارى فى
مجالاته المختلفة هذه الخطوط
العريضة ..

• سمو الشيخ خليفة بن حمد أمير دولة قطر •

• يجرى حالياً تنفيذ عدد من
المشروعات الصناعية الكبرى (الحديد
والصلب . ومشروع البتروكيماويات
وتوسيع مصانع الأسمنت . ومصفاة
البتترول) .

• كما تشهد دولة قطر نهضة
حقيقية وشاملة فى الخدمات
الاجتماعية والصحية والسياسية
التربوية والتعليمية . وتقدم كل هذه
الخدمات للمواطن القطرى على مستوى
عال من الكفاءة والمسؤولية .

• ووراء هذه الانجازات الرائدة
فى جميع المجالات والميادين تصميم
الحكومة على تحقيق الاكتفاء الذاتى
الوطنى وانتعاشة حضارية هائلة
لمستقبل باهر لدولة ناشئة نامية
تساهل التقدم الحضارى فى مجالاته

• منذ أن قام سمو الشيخ خليفة
ابن حمد آل ثانى أمير دولة قطر بحركة
التصحيح والبلاد تسير بخطى حثيثة
الى الأمام فى جميع ميادين النهضة
السياسية والاقتصادية والثقافية
والاجتماعية .

• قامت دولة قطر بدور ايجابى
وفعال لتأكيد التضامن العربى
بوقفتها الرائدة بجانب دول المواجهة
خلال معركة رمضان الجيدة .

• تعتبر دولة قطر من أكثر دول
العالم رخاء اذ يزيد متوسط دخل
الفرد بها سنوياً على ٢٠ ألف ريال
أى ألفى جنيه مصرى .

• يوجد فى قطر حوالى ١٢٠٠
مؤسسة صناعية .. وكلها تستهدف
بناء المجتمع العصرى .